

(٣)

رسالة روح القدس

- استهلال .
- تقديم .
- المقدمة .
- رسالة روح القدس .
- وبه ثقتي .

استهلال

كان لهذه الرسالة النادرة «روح القدس» قصة غريبة عجيبة ،
فمنذ عشر سنوات ماضية قابلني أحد الأصدقاء وكان وثيق الصلة
بالمرحوم الشيخ (الشعيني) الذي كانت إقامته دائماً بالجامع المسمى
بمسجد «الجمالي يوسف» بالحمزاوي الكبير ، واسم الشارع
التاريخي :

«السلطان صاحب» :

وأخبرني هذا الصديق أنه زار الشيخ ، فأخبره أن عينيه قد
أصابهما ضعف حتى أصبح لا يقوى على القراءة ، وطلب أن أقرأ عليه
مخطوطات ثلاثاً ، وهي لثلاثة من الرجال أتوا بهم إليه في أزمان
مختلفة ، وليس بينهم معرفة ببعض ، وطلب من كل واحد منهم على
حدة أن يمهل حتى يستعين بمن يجد فيه الأهلية في استعانتهم به .
وخلاصة الأمر أنه قد ردّ لكل صاحب مخطوطة مخطوطته ، بعد
قراءتي لها عليه .

ثم قال لي : في إحدى زياراتي له : اكتب ما أمليه عليك
فكتبت :

«الأولى : بها من أكلة الأرض ما يخل بتسامها .

الثانية : بها أسطر ساقطة يجعلها غير صالحة للنشر .

الثالثة : ليس بها من العيوب ما في الأثنتين ، وإنما فيها ما هو أقبح ، حيث أضرب الناسخ صفحاً عن أجزاء كثيرة من الرسالة ، فأصبحت بهذا لا تتفق مع سلامة السرد في السياق» أ . هـ .

ثم قال لي هذا الصديق : فلا أدري هل أخذت منه هذه الورقة ؟ أم احتفظ بها لنفسه ! . وناشدني أن أحاول العمل على نشرها ببحثي في دار الكتب ، أو مكتبة الأزهر الشريف ، أو مكتبة الجامعة العربية ، فيما سيأتي من الأيام .

إلا أن الله سبحانه وتعالى أراد ألا يكون فيما مضى من الزمن أن تظهر هذه الرسالة الغالية لعوائق كثيرة شتى .

ومن الغريب الذي يستدعي مني السجود شكراً لله ، إنه سبحانه وتعالى قد ساقها إلي هدية خالصة من رجل طيب ، ألح في قبولي لها منه ، فأخذتها شاكراً ممتناً .

وهي تقع في مائة وأربع صفحات ، وكان تمام طبع هذه الرسالة المباركة المنيفة بمطبعة الحجر بمصر المحروسة ، وذلك في أوائل شهر القعدة الحرام سنة إحدى وثمانين ومائتين وألف من هجرة خاتم الأنبياء والرسل الكرام (ص) .

تقديم

لقد خلف الإمام ابن عربي فيما خلف من مصنفات تراثه الروحي الضخم الرائع ما قال صاحب «لسان الميزان» : «وصنف كتباً كثيرة ، منها ما هو كراسة واحدة ، ومنها ما هو مائة مجلد ، وما بينهما» ا . ه .

ومؤلفاته على كثرتها ، تدلنا على أن الأصل في التصوف الحقيقي : العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله ، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها قدر الإستطاعة ، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه .

وبهذا نرى أن التصوف حين كان في أول مراحله استجاب الصوفية لتعاليم الله خوفاً من عذابه وطمعاً في نعيمه ، لأن الآداب ثلاثة : آداب الشريعة ، وآداب الطريقة ، وآداب الحقيقة .

فآداب الشريعة : امتثال الأوامر واجتناب المناهي .

وآداب الطريقة : شهود المنة .

وآداب الحقيقة : معرفة مالك وما لله سبحانه وتعالى ، فلك الفقر والعجز والضعف والذلة .

والله الغني والقوة والعزة .

قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي (رضي الله عنه) : من عرف نفسه بالفقر عرف ربه بالغني ، ومن عرف نفسه بالضعف عرف ربه بالقوة ، ومن عرف نفسه بالعجز عرف ربه بالقدرة ، ومن عرف نفسه بالذلة ، عرف ربه بالعزة .

والحاصل : أن العبودية لها أوصاف أربعة ، والربوبية لها أوصاف أربعة ، فأوصاف العبودية الفقر والضعف والعجز والذلة ، وأوصاف الربوبية الغنى والقوة والقدرة والعزة . فكلما تحقق السالك بوصف العبودية ، أمره الرب بوصف من أوصاف الربوبية .

قال في «الحكم»^(١) كن بأوصاف ربوبيته متعلقاً وبأوصاف عبوديتك متخلفاً .

وما أحسن ما قيل في هذا المعنى .

أنا لا أعرف إلا أنتم فأجبروني بعطاء منكم
كل شخص لعزيز ينتمي وعزيزي ليس إلا أنتم

وقد حدا بهم هذا إلى حب الله حباً عبروا عنه بفنائهم عن أنفسهم وبقائهم بالله وحده ، وجعلوا هذا الحب غاية حياتهم ومنتهى آمالهم .

(١) هي حكم مولانا «ابن عطاء الله» .

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

بعد ما أحمد الله تعالى وأصلي وأسلم على نبيه الأكرم .

أقول : إن من المعلوم بالبداهة أن الإنسان لا يكون كاملاً في نظر العقلاء الأولى لا يألون جهداً في تحصيل المعرفة والفهم عن الله ومحبة دينه إلا إذا كان مثلهم ، آخذاً بنفسه نحو تعصيد دينه بالبحث عن حقائقه والتنقيب عن فضائله ، لتجلى له الحقائق الدينية التي عليها مدار الحياتين ، وتنجلي الفضائل الروحية التي تجعله محباً لوطنه مشفقاً على أهله وعشيرته وكل ذي كبد رطب ، مما يجعله فرحاً مسروراً لأن هذه الفضائل التي يتحلى بها كل مؤمن ، هي التي تدور على قطبها رحي السعادتين .

لذلك أراني ولوعاً في بيان حقيقة ديننا الأقوم ، دين العلوم والمعارف ، وما يطلبه منا من معرفة العقائد السليمة من الكتاب والسنة ، وشرح أوامره ونواهيه ، وغير ذلك من إنضمام التصديق إلى العمل . . فوجدت بغيتي بفضل الله في هذه الرسالة المسماة - «روح القدس» لمؤلفها سيدي :

«محي الدين بن عربي» التي يقول في أولها عن نفسه :

«إنها من العبد الضعيف الناصح الشفيق المأمور بالنصح لإخوانه
والمشدد عليه في ذلك دون أهل زمانه» .

وقد أثر أن يوجه هذا النصح والتذكير بالأمر والنهي ،
إلى ولي وأخ له في الله ، ذلك لأنه بمثابة الركن الوثيق ، فهو من
المحبين للذي سيلقى إليه من المعارف والحقائق - وقليل ما هم - في
كثير من العصور .

وهذا الأخ الولي هو «محمد بن عبد العزيز بن أبي بكر القرشي
المهدوي» نزيل «تونس» .

رسالة روح القدس

ميزة هذه الرسالة النفيسة . إنها من العبد الضعيف الناصح الشفيق ، المأمور بالنصح لإخوانه والمشدد عليه في ذلك دون أهل زمانه .

وهو (رضي الله عنه) موجهاً الحديث، فيها إلى وليه^(١) في الله «محمد بن عبد العزيز بن أبي بكر القرشي المهدوي» نزيل تونس ، (أبقاه الله تعالى) محفوظاً . وبعون الصون والرعاية ملحوظاً . . إلى أن يقول : أما بعد يا أخي^(٢) فإن النصح^(٣) أولى ما تعامل به رفيقان . وتسامر به صديقان . وقلما دامت اليوم صحبة إلا على مداهنة^(٤) وقد

(١) الأولياء : جمع ولي . والولي هو من تولى طاعة الله لا يفتر عنها طرفة عين ، لأن ملازمة ذكر الله تعالى وإكثاره من علامة الولاية ومن جهة التفضل أن الله تعالى بتولى أمره بحيث لا يكله إلى غيره .

(٢) تستعمل كلمة «أخ» في الدين . «إنما المؤمنون أخوة» . . والأخوة في أخ الولادة .
(٣) النصح من الناصح : وصف من أوصاف الكمال لكل من اتصف بالنصيحة لكافة المسلمين التي هي الدين كله كما في الحديث . . ناصحاً لعباد الله تعالى لا سيما من استشاره في أموره فينصحه بما يعرف أنه الأصلح في دينه ودنياه . قال (عليه الصلاة والسلام) : «الدين النصيحة لله ورسوله وأئمة المسلمين وعامتهم» ومنها أن يكون مشفقاً ، أي خائفاً عليهم .

(٤) مداهناً : أي مخفياً للحق . قال القرطبي : المداهنة : المصانعة ، وقيل داهنت بمعنى =

ثبت أن النبي (ص) قال : «ما ترك الحق لعمر من صديق» .

وخلاصة ما قاله (رضي الله عنه وأرضاه) : أتهام النفس الأمانة بالسوء المتبعة للشهوات المائلة إلى الهوى المجانبة للحق والهدى فيما تأمر به وتنهى عنه ، وعداوتها أكيدة قال (عليه الصلاة والسلام) «أعدى الأعداء نفسك التي بين جنبيك» .

وأكثرية النفوس أمانة بالقبائح والمعاصي لاستلذاذها بها ، ومن هنا وجب القول بأن كل من كان أوفر عقلاً وأجل قدراً عنده تعالى كان أبصر بعيوب نفسه ، ومن كان أبصر بها كان أعظم إتهاماً لنفسه ، وأقل إعجاباً - إلا ما رحم ربي - من النفوس التي عصمها .

* * *

وبالجملة فالشيخ (رضي الله عنه) ما سرد في هذه الرسالة من معارف وحقائق إلا والشرع زمامه فينقل لنا ما يستشهد به من التأصيل النقلية عن رسول الله (ص) وكتاب الله الكريم .

ولقد سئل المشايخ الصوفية عن الإسلام فقالوا : هو ذبح النفس بسيف المخالفة . أي لأنها إذا اعتادت اللذات لا تنصرف إلى الطاعات إلا بالمجاهدات والتوبيخات الشديدة ، ولذا سميت هذه الأمور سيوفاً ، وذبحها قهرها ونقلها عن هواها . وقد قال بعض الكتاب إن هذا القول منسوب إلى «ذو النون»^(١) المصري والحقيقة أنها ليست له .

ومما قاله عن هموم الداعية قوله : وقل يا ولي أن تجد اليوم للناصح من صديق .

= وارىت ، وادهنت بمعنى غششت . .

(١) هو أبو الفضل ثوبان بن إبراهيم ذو النون المصري ولد باخميم من أعمال صعيد مصر حوالي سنة ١٨٠ بعد الهجرة .

ولقد قلت في ذلك شعراً :

لما لزمته البحث والتحقيقاً لم يتركاً لي في الأنام صديقاً
ولعمري والله ما كذبت ولا قلت إلا ما وجدت

* * *

والشيخ (رضي الله عنه) لا يعتريه الملل أو الفتور في الدعوة إلى
الله بالكلمة الطيبة والموعظة الحسنة ، والنصيحة الدائمة ، لأنه يخشى
على إخوانه في الدين هؤلاء الأربعة :

إني أبتليت بأربع ما ساطوا إلا لشدة شقوتي وعنائني
أبليس والدنيا ونفسي والهوى كيف الخلاص وكلهم أعدائي

* * *

وما أظن أن هناك في تراث الشيخ «محيي الدين بن عربي» ما هو
أجمع لحياته الروحية باختصار جامع إلا هذه الرسالة العصماء ، إذا ما
استثنينا كتابه الكبير الرائع «الفتوحات المكية» لأنه الموسوعة الكبرى
في كل العلوم الشرعية ، وهذا الاستثناء من أجل التركيز على دراسة
هذه الرسالة الفريدة لطلاوتها وتأريخها لكل مناسبة في رحلات الشيخ
وانتقالاته ، وذكر أسماء من التقى بهم ، والتقوا هم به ، مع ذكر
مناقبتهم وخصوصيات كل فرد على حدة ، وذكر أسماء هذه البلاد التي
شاهدتهم بها وعلى الأخص مصر (القاهرة) وهو في كل ذلك لا يطلب
بغير كتاب الله وسنة نبيه ورسوله الأكرم بديلاً ، حتى نراه يهون من
شأن العقل أمام حكم الشرع إذ يقول :

لا تعتقد غير الذي تتلوه في الذ حص الذي نطق الكتاب المحكم
وعليه فاعتمدوا وقولوا مثلما قد قانه عن نفسه واستلزموا
واعبد إله الشرع لا تعبد إل ه العقل من هادوا إليه وسلموا
فالناس مختلفون في معبودهم فمنزه معبوده ومجسم

وهو يتحدث إلينا في كل كتبه أو رسائله عن التمسك بالشرعية والعمل بنصوصها ، فمن ذلك ما قاله عن كتابه «الفتوحات» اعلم أنني لم أقرر بحمد الله تعالى في كتابي هذا أمراً غير مشروع . وذلك في باب الكلام عن الأذان . . . ويقول في الباب الخامس والستين وثلاثمائة : واعلم أن جميع ما أتكلم به في مجالسي وتصانيفي إنما هو من حضرة القرآن وخزائنه ، فأني أعطيت مفاتيح الفهم فيه والإمداد منه ، كل ذلك حتى لا أخرج عن مجالسة الحق تعالى ومناجاته بكلامه . ا . ه .



ومن الصديق البين أن الشيخ محيي الدين (رضي الله عنه) ما مال عن جادة الطريق حتى في صغره ، أو حاد مدة حياته عن محور الآداب الشرعية ، لذلك كان القطب الذي تدور عليه رحي السعادة والقُدوة المتبعة في العلوم والأخلاق يأخذهما من كتاب الله وسنة حبيبه رسول الله (ص) ، وقد وقفت في طريقه الأعداء ، وكم مهدت له أعداؤه عقبات التأخر ، وجعلت فيما بينه وبين مبتغاه الحجب الحالكة والسحب المظلمة ، ولكنه بفكره الثاقب ورأيه الصائب بتوفيق من الله ، محي دياجير السحب بنور الشريعة الغراء فطلعت شمسها في سماء القلوب حتى أشرقت بسناها أرجاء الأنحاء وأضاءت بشعاعها الصدور والوجوه .

تنبئك عن ذلك كله تلك الغزوات المسطرة وقائعها على صفحات تواريخها في هذه الرسالة التي تجري فيها النصيح والنصيحة لكافة المسلمين ، إذ النصيح هو الخلوص والتصفية وكلما ازداد الإيمان قوة وكمالاً وتوفرت دواعيه زادت النصيحة بحب الرحمة والشفقة . وقد حقق بذلك ، فإنه (رضي الله عنه) لم يكن مصانعاً بالدين لتسلم له الدنيا ، كما هي حقيقة المداهنة .



وقد خلف ابن عربي (رضي الله عنه) فيما خلف من مصنفات وتآليف ما تحدث فيها عن موضوع في الروحيات أو في نصوص الشريعة ، إلا وهو يرجو ويحاول بشتى الكلمات الموحية بنصرة الإنسان المسلم وكل من يطلب الهداية ، بإقامته في حياته على السعادة ، وهي كل ما ينفعه في الآخرة .

ومن هذه المصنفات التي في المستوى أن تقوم بنشرها مكتبة عالم الفكر إن شاء الله :

١ - كتاب «البغية» وهو عن صوفية الصوف الذين هم بأغراض الدنيا موشحون واتخذوا ظاهر الدين شركاً للحطام . ثم يعقب بأهل الحظوة من الصوفية العاملين الذين ذكروا الله بقلوبهم تعظيماً لربهم لمعرفة بجلاله ، فهم حجب الله تعالى على خلقه ، ألبسهم الله النور الساطع في محبته ، ورفع لهم أعلام الهداية إلى مواصلته . . . الخ .

٢ - كتاب «عنقاء مغرب في معرفة ختم الأولياء وشمس المغرب» .

وسبب تأليف هذا الكتاب أن الشيخ (رضي الله عنه) كان يجلس معه الشيخ أبو يحيى بن أبي بكر الصنهاجي وهو من أهل المعارف والإشارات والتمكين وقل أن تلقى مثله «هكذا يقول سيدي محي الدين» وكان بيني وبينه مسائل من الحقائق كثيرة يضيق الوقت عن ذكرها ، ألف من أجله كتاب «عنقاء مغرب» .

٣ - كتاب «الدرة الفاخرة في ذكر من انتفعت به في طريق الآخرة» .

* * *

والشيخ (رضي الله عنه) كان يعلم وينقد من يراه يحدث خللاً في عقيدته الإسلامية . ولذا يخاطب من كتب له هذه الرسالة : فيياك يا أخي - عافاك الله من الظن السوء - أن تظن في أنني أذم الفقهاء من

أجل أنهم فقهاء أو لنقلهم الفقه ، لا ينبغي أن يظن هذا بمسلم ، وأن شرف الفقه وعلم الشرع لا خفاء به . ولكن أذم من الفقهاء : الصنف الذي تكالب على الدنيا وطلب الفقه للرياء والسمعة وابتغى به نظر الناس . . ص ١١٤ .

كما أنني ذممت الصوفية في كتابي هذا ولم أرد به الصادقين وإنما أعني الصنف الذي تزيا بزيهم عند الناس وباطنه بخلاف ذلك .

إلى أن يقول : وكذلك ذمي للصوفية ، أذم هذا الصنف الذي ذكرت فإن الحلولية^(١) والإباحية وغيرهم .

من هذا الطريق ظهروا وتظاهروا واتصفوا فهم قرناء الشيطان وحلفاء الخسراء ١١٥ و ١١٦ .

وسأسرد عليك أيها القارئ الكريم بعض مشاهد قليلة من رحلات سلطان العارفين «محي الدين» لأن هذه العجالة تضيق عن ذكرها جميعاً .

يقول الشيخ عن سكان الخانقاهات :

يدخل بينهم الصادق والصادق فيجهل ، والعارف المتمكن فيترك ويهمل ، فإنه يحمل على ما هم عليه لاشتراكهم في المسكن ، وما بينه وبينهم معاملة في شيء .

ولقد وقع بيدي منهم بمصر في الخانقاه بالقاهرة ، كهل يقرب أن يكون رجلاً لا بأس به ، فقرحت به لما لم أجد غيره . . . ص ٣٩ .

* * *

(١) حلول : تستعمل هذه الكلمة للدلالة على حلول اللاهوت في الناسوت وهي عقيدة النصارى .

هذا اللفظ من الأدلة الواضحة على أنه لا يقول بالحلول .

وعن الصالحين من المشايخ والإخوان والنساء يقول (رضي الله عنه) لوليه الذي كتب من أجله الرسالة : لو دونت لك أحوالهم وسطرت كما سطرت أحوال من تقدم لرأيت الحال الحال والعين العين في الأعمال والجد والإشارات وصحة القصد فياويلي تعال نقم مأتماً للفراق ونندب إخواننا الظاعنين وأنا أنشر لك من بعض أحوال من لقيت . فمنهم وهو أول من لقيته في طريق الله «أبو جعفر العريني» (رضي الله عنه) وصل إلينا - إلى إشبيلية في أول دخولي إلى معرفة هذه الطريقة الشريفة - فكنت أول من سارع إليه ، فدخلت عليه فوجدت شخصاً مشتهراً بالذكر فتسميت له وعرف حاجتي . فقال لي : عزمت على طريق الله تعالى ؟؟ فقلت له : أما العبد فعازم ، والمثبت الله . فقال لي : سد الباب واقطع الأسباب وجالس الرهاب (أي الذين يرهبون عذابه ويطلبون رضاه) - يكلمك الله من دون حجاب فعملت عليها حتى فتح لي . . . ص ٨٨ .

ومنهم شيخنا وإمامنا «أبو يعقوب يوسف بن يخلف الكوهي العبسي» (رضي الله عنه) ، صاحب أبا مدين (رضي الله عنه) ولقي رجالاً بهذه البلاد ، سكن ديار مصر مدة وتأهل بمدينة الإسكندرية ، مناقبه وكراماته وإشاراته أكثر من أن تحصى .

ومن شعري فيه حين فارقت وأنا متوجه إلى مراکش وهو بـ «سيلي قاطن» . . . ص ٩١ .

إذا قيل من في الوجود أشرف يوسف بن يخلف
رب المعالي ، قلب المعاني أرق شخص : قلباً والطف

والقصيدة طويلة أودعتها كتاب «إنزال الغيوب على مراتب القلوب» ص ٩٤ وهي فيما له (رضي الله عنه) في هذه الطريقة من نظم ونثر وخاصة فيما أفاده في مسألة «الوصال» وحديث «أنا سيد ولد آدم»

و «آدم ومن دونه تحت لوائي» .

و «التدبير نصف العيش» . «وإذا أحب الله عبداً ابتلاه» . «وقلب القرآن يس» .

ولم يسبقه أحد إلى هذه المسألة في بلادنا وغير ذلك مما لا أتذكره : (كل ذلك قاله الشيخ) .

ومنهم (رضي الله عنهم) «أبو عمران موسى بن عمران المارثلي» أنشدني لنفسه في شعر مجلس يخاطب نفسه ص ١٠٢ :

فأنت ابن عمران موسى المسيء ولست ابن عمران موسى الكلبيما

ولهذا الشيخ شأن كبير ومعرفة تامة وأدب عظيم مقبوض في عموم أحواله ، حسن البشاشة لزواره . لنا معه مواطن عجيبة كانت همته متعلقة بالله في حفظنا وعصمتنا من الفتن والرجوع ، فقضي حاجته في ذلك وشهد لي وبشرني . وقال لي منه إلي بمحضر صاحبي (عبد الله بدر الحبشي) . كنت أتخوف عليك جداً لصغر سنك ، وعدم المعنى وفساد الزمان ، وما ظهر لي في أهل هذه الطريقة من الفساد ، وهم الذين ألزموني العزلة لما عاينت من فساد الأحوال ، فالحمد لله الذي أقر عيني بك .

ومنهم (رضي الله عنهم) «أبو محمد عبد الله بن محمد بن العربي الطائي» وهو عمي شقيق والدي ، دخل هذه الطريق في آخر عمره وهو في عمر الثمانين ، فلازم المجاهدة ص ١١٠ .

ومنهم (رضي الله عنهم) . الإخوان الشقيقان أبو عبد الله محمد الخياط ، وأبو العباس أحمد الإشيليني (رضي الله عنهما) .

صاحبتهما زماناً بإشبيلية إلى عام تسعين وخمسائة خرجا يريدان الحج ، وهو العام الذي رحلت فيه إليك «يقصد أبو العباس أحمد» . ووصلا مكة . فأما أحمد فجاور بها سنة ، وخرج إلى مصر ودخل

طريق الملامتية . وأما محمد فجاور بها خمسة أعوام ولحق بأخيه بمصر ، فأقامت معهما . وبأبي عبد الله زمانة (أي مرض) .

ولذا ظل معهما - أي الشقيقان - وقال (رضي الله عنه) فصمت معهما رمضان وخرجت إلى القدس الشريف ومشيت إلى مكة (شرفها الله تعالى) وأقامت بها ، وظل «أحمد» في خدمة أخيه . لقي شيخنا العريني وأبا عبد الله بن جنيد وجماعة من أصحابنا أراد صحبتنا إلى مكة لولا مرض أخيه ولو كان صحيحاً رحلنا بجملتنا ، حلت بمصر المسغبة والوباء الذي هلك فيه أهلها .

في ختام هذه الوريقات أحمد الله الذي جعل نظام الأنعام منوطاً بالأحكام والشرائع ، ونصب أئمة الدين وعلماء اليقين لسد المفاصد والذرائع (أحمده) حمد من سقاه الله من خمر محبته شراب اليقين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تخرج الفؤاد من ضيق الاحتجاب إلى النور المبين ، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله موضح طريق المقربين . (صلى الله عليه وعلى آله وصحبه) الذين مشوا على طريقته وتحققوا بحقائق الدين .

(وبعد) فيقول الفقير إليه تعالى (بدوي طه علام) (غفر الله ذنوبه) وستر في الدارين عيوبه هو ووالديه وأحبائه وجميع المسلمين آمين :

هذه رسالة «روح القدس» تأليف الشيخ الإمام العارف بالله تعالى أبي عبد الله محمد بن علي بن محمد بن العربي الطائي الأندلسي (رضي الله عنهم) ونفعنا بهم آمين أقدمها للتقارئ المنصف الذي يخاف الله رب العالمين ، ويتقي الله في أعراض علماء المسلمين ، وليستبين الحق الواضح من الضلال المبين .

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم وبه ثقتي

وصلّى الله على سيّدنا محمد وآله .

من العبد الضعيف الناصح الشفيق المأمور بالنصح لإخوانه .
والمشدد عليه في ذلك دون أهل زمانه :

محمد بن علي بن محمد بن العربي الطائي الحاتمي (وفقه الله تعالى) : إلى وليه في الله تعالى وأخيه الركن الوثيق أبي محمد بن عبد العزيز بن أبي بكر القرشي المهدي نزيل تونس (أبقاه الله تعالى) .
محفوظاً . وبعون الصون والرعاية ملحوظاً .

سلام عليك ورحمة الله وبركاته .

أما بعد : فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو .

وأصلي على سيّدنا محمد على آله وسلّم تسليماً .

أما بعد يا أخي فإن النصح أولى ما تعامل به رفيقان وتسامر به صديقان .

وقلما دامت اليوم صحبة إلا على مداهنة ، وقد ثبت أن النبي (ص) قال : «ما ترك الحق لعمر من صديق» وقال أويس القرني (رضي الله عنه) لرجل من مراد : يا أخا مراد إن الموت وذكره لم يترك لمؤمن

فرحاً وإن علم المؤمن بحقوق الله تعالى لم يترك في ماله فضة ولا ذهباً
وإن قيامه لله بالحق لم يترك له صديقاً .

روينا عن أويس (رضي الله عنه) من طريق مخلد بن جعفر عن
محمد بن حريز عن محمد بن حميد عن زافر بن سليمان عن شريك
بن جابر عن الشعبي عن رجل من مراد عن أويس (رضي الله عنه) وكل
إنسان يقبل النصيح من غيره لا من نفسه إلا من وفقه الله فحينئذ يلتذ
بسماع معائب النفس لا سيما إذا أرسلتها يا أخي في مجلسك مطلقة
من غير تعيين . نقر لك بأن هذا هو الحق فإذا قلت لها إياك عنيت
بهذا الكلام والمؤمن مرآة أخيه وقد رأيت فيك ما أوجب علي أن أقول
لك فيه شمخت النفس وقالت سبحانه الله إنما أنا مرآة نفسك رأيت
في ، ومثلي من يُقال له هذا ؟ ! لأن النفس عمياء عن عيوبها بصيرة
بعيوب غيرها ، فأدى نصحك لها في أمر واحد إلى ارتكاب محظورات
كثيرة من الكذب والنفاق وقل يا ولي أن تجد اليوم للناصح من
صديق ، ولقد قلت في ذلك شعراً :

لما لزمته البحث والتحقيقاً لم يتركاً في الأنام صديقا
ولعمري والله ما كذبت ولا قلت إلا ما وجدت

ويعلم ولي الله (أبقاه الله تعالى) إنني ما عاشرته أيام إقامتي عنده
إلا بالمناصحة حتى ذكر لي يوماً على العشاء وقال لي مواجهة إنك كثير
الانتقاد واحتج علي بمسألة إبراهيم بن أدهم ثم استشهد بقول القائل .

وعين الرضا عن كل عيب كليلة كما أن عين السخط تبدي المساويا
فاعربت له (وفقه الله) أن ذلك النصيب مقام من أحبك لنفسه وأما
من أحبك لك فلا سبيل ولما كان حب الله إيانا لنا لا لنفسه نبهنا على
معايينا وأظهر لنا نقائصنا ودلنا على مكارم الأخلاق ومحامد الأفعال
وأوضح لنا مناهجها ورفع لنا معارجها ولما أحبيناه لأنفسنا ولم نتمكن
في الحقيقة أن نحبه له تعالى عن ذلك رضينا بما يصدر منه مما لا

يوافق أغراضنا وتمجه أنفسنا وتكرهه طباعنا والسعيد هو الذي رضى
 بذلك منه تعالى ، ومن سواه يضجر ويسخط فنسأل الله تعالى العافية
 في ذلك لنا وللمسلمين وقد فزت يا أخي جعلني الله وإياك من الفائزين
 في زمانك هذا بخلاف لم يقدر أن أراها من غيرك ، منها معرفتك
 بمرتبة العلم وأهله وعدم تعريضك على الكرامات والأحوال ومنها
 انقيادك للحق وتواضعك له ونزولك إليه عند من وجدته سواء كان ممن
 تلحظه العيون أم لا يؤبه له ولم تلحظ منيرتك الدنيوية من تعظيم
 الناس لك وتقبيلهم يدك وإتيان السلاطين إلى بابك وهذا غاية الإنصاف
 ثبتك الله ومنها قولك فيما لا تعلم لا أعلم وفيما تعلم أحب أن أسمع
 من غيري فقد حزت والله يا ولي هذه الخصال التي تتطير دونها رقاب
 الرجال والمقام الذي لا تغيره الأحوال ولا تزيد حسناً ووضاءة رواتب
 الأعمال ثم بحثك الذي لم أره من غيرك في معرفة الأنام والزمان
 واعتقادك أنه من فروض الأعيان من أعجب ما سمعته الأذان وتسامرت
 به الخلان وسارت به الركبان ثم ما وهبك الله من الصولة والقوة على
 الفقهاء بدلائل المكارم والفتوة الجارية مع براهيم النبوة وأما أهل زمانك
 اليوم يا ولي فكما قال الحكيم أبو عبد الله محمد بن علي الترمذي
 (رحمه الله) : ضعف ظاهر ودعوى عريضة . فأول ما وصلت إلى هذه
 البلاد سألت عن أهل هذه الطريقة المثلى عسى أن أجد منهم نفحة
 الرفيق الأعلى فحملت إلى جماعة جمعتهم خانقاه عالية البناء واسعة
 الفناء فنظرت إلى مغزاهم المطلوب ومنحاهم المرغوب تنظيف
 مرقعاتهم بل مشهراتهم وترجيل لحاهم غير أنهم يدعون أن أهل
 المغرب أهل حقيقة لا طريقة وهم أهل طريقة لا حقيقة وكفى بهذا
 الكلام فساداً إذ لا وصول إلى حقيقة إلا بعد تحصيل الطريقة وقد قال
 الإمام المقدم والصدر المبرز أبو سليمان الداراني (رحمة الله عليه) وإنما
 حرموا الوصول إلى الحقيقة بتضييعهم الأصول وهي الطريقة وقد شهدوا
 على أنفسهم بفراغهم من الحقيقة فهي شهادتهم بعينها أنهم على غير

الطريقة وهاتان جهالتان منهم وهم لا يشعرون فالزمان يا وليي اليوم شديد شيطانه مريد وجباره عنيد علماء سوء يطلبون ما يأكلون وأمراء جور يحكمون بما لا يعلمون وصوفية صوف بأغراض الدنيا موشحون عظمت الدنيا في قلوبهم فلا يرون فوقها مطلباً وصغر الحق في أنفسهم فاعجلوا عنه هرباً حافظوا على السجادات والمرقعات والمشهرات والعكاكز وأظهروا السبحات المزيّنة كالعجائز طغام أطفال صبيان الأحلام لا علم عن الحرام يردهم ولا زهد عن الرغبة في الدنيا يصدهم اتخذوا ظاهر الدين شركاً للحطام ولازموا الخوانق والسرباطات رغبة فيما يأتي إليها من حلال وحرام وسعوا أردانهم وسمنوا أبوانهم فوالله ما أراهم إلا كما حدثني غير واحد عن القاضي أبي بكر بن العربي المعافري قال حدثني المطهر سعد بن عبد الله الأصبهاني قال حدثنا أحمد بن عبد الله قال حدثنا محمد بن أحمد بن علي قال حدثنا أحمد بن الهيثم قال حدثنا مسلم بن إبراهيم قال حدثنا بشر بن مطر بن حكيم بن دينار القطيعي ، قال : سمعت عمرو بن دينار وكيل آل الزبير يحدث مالك بن دينار قال حدثني شيخ من الأنصار بحديث عن سالم مولى أبي حذيفة قال قال رسول الله (ص) ليجائن بأقوام يوم القيامة معهم من الحسنات مثل جبال تهامة حتى إذا جيء بهم جعل الله أعمالهم هباء ، ثم قذفهم في النار فقال سالم : يا رسول الله بأبي أنت وأمي جل لنا هؤلاء القوم حتى نعرفهم فوالذي بعثك بالحق إني أتخوف أن أكون منهم قال يا سالم «إما أنهم كانوا يصومون ويصلون» .

وفي حديث آخر : وكانوا يأخذون وهنا من الليل ولكنهم كانوا إذا عرض لهم شيء من الحرام وفي رواية من طريق آخر : شيء من الدنيا وثبوا عليه فأدحض الله عز وجل أعمالهم فقال مالك بن دينار هذا والله النفاق فأخذ المعلي بن الزباد بلحيته فقال صدقت يا أبا الخير والله يا وليي لو رأيتهم في صلاتهم ينقرونها وفي صفوفهم لا يقيمونها يجعل أحدهم بينه وبين صاحبه في الصف قدر ما يدخل فيه ألف شيطان ثم

إذا جئت أن تسد ذلك الخلل تراهم قد قطبوا وجوههم فإن غفلت
ووطئت سجادة أحدهم لكمك لكمة حيث حاءت منك قد يكون فيها
حتفك وهذه واشباهها هي الطريقة التي أهل زمانك عليها ويرحم الله
أبا القاسم القشيري حيث أدرك من تحلى بحلية القوم في ظاهره وتعرى
عنهم في باطنه فأنشد فيه :

أما الخيام فإنها كخيامهم وأرى نساء الحي غير نسائها

وهذا الذي قد اشترك معهم في الزي الظاهر وأما اليوم فلا خيام
ولا نساء بإجماع من القوم وإن الموت الأخضر عندهم طرح الرقاع
بعضها على بعض وذلك شعارهم (رضي الله عنهم) فقام هؤلاء فقالوا
إنما لنا لبس مرقعة خاصة ولم يلحظوا ما أريد بها فتأنقوا في الثياب
المطرحة والأعلام المشهرة وخاطوها على وزن معلوم وترتيب منظوم
تساوي مالا عظيماً وانسدوا عليها ثياباً وسموها مرقعة فرحم الله سيد
هذه الطريقة أبا القاسم الجنيد حيث أنشد لما رأى فساد الحال :

أهل التصوف قد مضوا	صار التصوف مخرقة
صار التصوف ركوة	وسجادة ومذلقة
صار التصوف صيحة	وتراجداً ومطبقة
كذبتك نفسك ، ليس ذي	سنن الطريق الملحقة

والله ما أعلم أهل الطريق كذا وما كان الطريق إلا بالقعود في
مرايض الكلاب مجاهدة وتحمل الأذى وكفه رياضه ، والرحمة والشفقة
والعطف على الفقراء والمسلمين كافة تحقيقاً ومعرفة أين هم من صفة
أهل الله كما نعتهم الطائفة العالية (رضي الله عنهم) على ما حدثنا أبو
محمد بن يحيى قال حدثنا أبو بكر بن أبي منصور وحدثنا أبو الفضل أحمد
قال حدثنا أحمد بن عبد الله قال حدثنا أبو الحسين أحمد بن محمد بن مقسم
قال حدثنا عباس بن يوسف قال حدثني محمد بن عبد الملك قال قال
عبد الباري قلت لذي النون المصري (رحمه الله) صف لي الأبدال قال

إنك تسألني عن دياجي الظلم لاكشف لك عنها يا عبد الباري
هم قوم ذكروا الله بقلوبهم تعظيماً لربهم لمعرفة بجلاله
فهم حجج الله تعالى على خلقه ألبسهم الله النور الساطع من محبته
ورفع لهم أعلام الهداية إلى مواصلته وأقامهم مقام الأبطال لإرادته
وأفرغ عليهم الصبر عن مخالفته وطهر أبدانهم بمراقبته وطيبهم بطيب
أهل معاملته وكساهم حلالاً من نسج مودته ووضع على رؤوسهم تيجان
مسرته ثم أودع القلوب من ذخائر الغيوب فهي معلقة بمواصلته فهممهم
إليه سائرة وأعينهم بالغيب إليه ناظرة أقدامهم على باب النظر من قربته
وأجلسهم على كراسي أطباء أهل معرفته ثم قال عز وجل لهم إن أتاكم
عليل من فقدي فداووه أو مريض من فرقي فعالجوه أو خائف مني فأمنوه أو
آمن مني فحذروه أو راغب في مواصلي فمنوه أو راحل نحوي فزودوه أو جبان
في متاجرتي فشجعوه أو آيس من فضلي فعدوه أو راج لاحساني فبشروه
أو حسن الظن بي فباسطوه أو محب فواطئوه أو معظم لقدري فعظموه
أو مسيء بعد إحسان فعاتبوه أو مسترشد نحوي فأرشدوه إلى آخر
القصة على ما ذكرناه في كتاب البغية لنا مستوفاة فهذه أحوال العارفين
يا وليي وهكذا تكون عمارة القلوب . وأما أهل زمانك فوالله لو أطلعت
عليهم لرأيت إن نظرت إلى وجوههم عيوناً جامدة ، متحركة غير هامة
وإن نظرت إلى نفوسهم رأيت نفوساً سائمة وإن نظرت إلى قلوبهم
رأيت قلوباً لاهية من العمارة العلوية والقدسية خالية على عروشها
خاوية آجاماً لأسود ضارية ومرابض لذئاب عاوية نسأل من الله تعالى
عند رويتهم العافية أين هم يا وليي من قوم وصفهم أبو الفيض حيث
قال إن لله لصفوة من خلقه وإن لله لخيرة قيل يا أبا الفيض ما علامتهم
قال إذا خلع العبد الراحة وأعطى المجهود في الطاعة وأحب سقوط
المنزلة . ثم قال :

منع القرآن بوعدده ووعيدده مقل العيون بليها أن تهجع
فهموا عن الملك الكريم كلامه فهما تذلل له القلوب وتخضع

فقال له بعض من كان في مجلسه من هؤلاء القوم يا أبا الفضل
(رحمك الله) ؟ .

قال ويحك هؤلاء قوم جعلوا الركب لجباههم وساداً والتراب
لوجوههم مهاداً هؤلاء قوم خالط القرآن لحومهم ودماءهم فعزلهم عن
الأزواج وحركهم بالأدلاج فوضعوه على أفئدتهم فانسرحت وضموه إلى
صدورهم فانسرحت وتصدعت همهم به فكذحت فجعلوه لظلمتهم
سراجاً ولسبيلهم منهاجاً ولحجتهم إيلاجاً وأفلاجاً يفرح الناس وهم
يحزنون وينام الناس ويسهرون ويفطر الناس ويصومون ويأمن الناس
ويخافون فهم خائفون حذرون وجلون مشفقون يشمرون يبادرون من
الفوت ويستعدون للموت إلى آخر القصة كما حدثنا أبو الحسن
علي بن موسى سنة أربع وتسعين وخمسمائة قال حدثنا محمد بن
عبد الله قال حدثنا سعد بن عبد الله قال حدثنا أحمد بن أحمد قال حدثنا
أحمد بن عبد الله قال حدثنا أبي قال حدثنا أحمد بن محمد بن مصقلة قال
حدثنا أبو عثمان الخياط عن أبي الفيض ذي النون بن إبراهيم المصري وهو
كما علمت يا وليي من ساداتنا فهذا وصفه لأولياء الله وبهذا حلالهم
وهكذا شاهدتهم ورآهم ولقد لقيت بهذه البلاد من يلبس سراويل الفتيان
ولا يستحي في ذلك من الرحمن لا يعرف شروط السنة والفرائض ولا
يصلح أن يكون خديماً في المراحض . ومع هذا يا وليي فهم والله
الصدق الذي يخفي الدرر والسياح على الروضة ذات الزهر يدخل
بينهم الصادق والصديق فيجهل والعارف المتمكن فيترك ويهمل فإنه
يحمل على ما هم عليه لا شراكتهم في المسكن وما بينه وبينهم معاملة
في شيء ولقد وقع بيدي منهم بمصر في الخانقاه بالقاهرة كهل يقرب
أن يكون رجلاً لا بأس به ففرحت به لما لم أجد غيره واجتمعت مع
شيخ يدعى فيهم شيخ الشيوخ بازبيل (هكذا قال لي بنفسه) ورأيت
يعطي النصف من نفسه للمتكلم معه (رضي الله عنه) فزعم أن ليس لله
في المغرب من يعرف الطريق إلى الله ولا يتعرفه فأراد وليك أن لا

يشافهه بخطاب ولا يتعرض إليه ثم رأيت ذلك قاصمة الظهر وقارعة
الدهر فابدينا له يسيراً مما وهبك الله من الأسرار ثم اعقبناه ببعض
أحوال سيدنا أبي مدين خلاصة الأبرار فبقي مبهوراً بما سمع وقال ما
تخيلت أن يكون مثل هذا في بلاد المغرب ثم ألقى عليه بعض
أصحابنا مسألة من الحقائق الإلهية المتوجهة على إيجاد جهنم فوالله ما
زاد على أن قال لا أدري شيئاً وانصف من نفسه واعترف بنقصه وهدأت
شقاشقه وطفئت بوارقه فقلت له هذا حالك معي وأنا انقص حظاً وأحقر
قدراً من أن أذكر فيهم أو أنسب إليهم فكيف بك لو لاحظت الكبراء
والسادة النبلاء الكائنين بالمغرب الغرباء فسلم واستسلم وحمدت الله
على ما ألهم وعلم وأما أهل السماع والوجد في هذه البلاد فقد اتخذوا
دينهم لعباً ولهواً لا تسمع إلا من يقول لك رأيت الحق وقال لي وفعل
وصنع ثم تطالبه بحقيقة منها أو سر استفادة في شطحه فلا تجد إلا لذة
نفسانية وشهوة شيطانية يصرخ على لسانه الشيطان فيصعق ما دام
المغرور والآخر بشعره ينهق فلا أشبههم إلا براعي غنم ينهق بغنمه
فتقبل وتدبر بنعيقه ولا تدري ماذا ولا لماذا فواجب على كل محقق
في هذا الزمان فمن ينظر ويقتدي به المريد الضعيف أن لا يقول
بالسماع أصلاً ويقطعه قولاً فصلاً وقد أوضحنا مقامه لأهل هذه البلاد
وما يتطرق إليه من الفساد واحتجوا علينا بأحوال من سمع من الشيوخ
في الرسالة وغيرها فأوضحنا مبهمها وأعربنا معجمها فأقروا بنقصه في
مراتب الوجود فمنهم من عدل عنه ومنهم من قام فيه على معرفته
بنقصه وليعلم ولي (وفقه الله تعالى) أني لما قررت بالحرم الشريف
المكي ما ذكرته لك في حق المنتسبين للصوفية وفي أحوالهم ثقل ذلك
على شخص فقال ما دعاه إلى هذا والإعراض عن هذا كان أحسن وما
أشبه هذا الكلام فزاد عندي اعتراضه تقوية أن هذا هو الحق لكونه ثقل
عليه ولقد عمي هذا القائل عن الأصول التي استندت إليها في فعل
هذا وهو يسلمها وقد قرعت سمعه غير مرة ولم يعتب عليهم بل

استحسن ذلك فلما وقع ذلك الذم في أهل زمانه رأى أن ذلك فضولاً
لكونه في ذلك الزمان فخاف أن يتطرق إليه الذم في نفسه فحزن ولو
أنصف لبحث عن نفسه .

وأما الأصول التي استندت إليه في ذلك فكثيرة جداً :

روينا عن أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) أنه قال يوم فتح مكة
في القرن الفاضل لما فقد عقد من عنق بعض أهله تأوه وقال ارتفعت
الأمانة اليوم من بين الناس وحكم بتلك النازلة الواحدة على الزمان
(ذكره في السير في غزوة فتح مكة) والأصل الآخر بنته عائشة (رضي الله
عنها) لما نظرت لزمانها وأهله وما هم فيه من البخل والحرام تأوهت
وقالت يرحم الله ليبدأ حيث يقول :

ذهب الذين يعاش في أكنافهم وبقيت في خلف كجلد الأجر

ثم قالت كيف به لو أدرك زماننا قدمت زمانها وأهله وقد روينا
عن غير واحد عن ابن القشيري وعن ابن أنمي كلاهما عن القشيري
(رحمه الله) أنه قال في رسالته ندم أهل زمانه وقد سمعها هذا المعترض
علي واستحسن ذلك منه ثم قال لم يبق في زماننا من أهل الطريقة إلا
أثرهم :

أما الخيام فإنها كخيامهم وأرى نساء الحي غير نسائها

حصلت الفترة في الطريقة لا بل أندست الطريقة ودمهم بأشد
الذم في أول الرسالة ولتداولها بين أيدي الناس أضربنا عن حكاية
قوله . وروينا عن أبي حامد وغيره عن أبي المغيث في كتابه المنقطعين
له من حديث أبي المهلب قال مررت بالساحل فرأيت شاباً قد احتفر
لنفسه حفرة في الرمل فسأله فتأوه وقال يذم أهل زمانه توعدت السبل
وقل السالكون لها قد افترشوا الرخص ومهدوا الزلل واعتلوا بزلل
الماضين . (إلى مثل هذا الكلام) ثم قام فمشى على الماء حتى غاب
عني رأيت قط هذا يتفق لمن تكلم فيما لا يعنيه . وروينا عن غير

واحد من حديث عبد الرحمن بن الحسن عن هارون عن أبي معاوية عن الأعمش عن أبي صالح قال لما قدم أهل اليمن زمان أبي بكر وسمعوا القرآن جعلوا يبكون فقال أبو بكر (رضي الله عنه) هكذا كنا ثم قست القلوب .

وثبت أيضاً تقرير النبي (ص) لأصحابه المعذبين بمكة على إسلامهم ، ومنهم خباب (رضي الله عنه) وقاسى بلاء شديداً من أجل إسلامه قال (رضي الله عنه) شكونا إلى النبي (ص) ما نلقاه من البلاء وقلنا ألا تدعو الله لنا ألا تستنصر لنا فجلس محمراً وجهه ثم قال : والله من كان قبلكم ليؤخذ الرجل فيوضع المنشار على رأسه فيشق باثنتين ما يصرفه عن دينه شيء ويمشط بأمشاط الحديد ما بين عصب ولحم ما يصرفه عن دينه شيء . يا أيها المعترض هذه الأصول التي استندت إليها في ذم أهل وقتي لا حشرنى الله معهم ولا أماتني على حالتهم هلا كنت ناصري في قلبي هذا وتعرف أنه الحق وإن اليوم الحال على ما وصفناه وكنت تأتيني باكياً على نفسك وأنا أيضاً كذلك عسى الله يرحمنا ألا رضيت لنفسك أن تكون منافقاً مداهناً وللمداهنين إماماً والله لا أرضى بهذه الحالة فتب إلى الله وارجع إليه فإنه يرجع إليك وتعال نقم مائماً ومناحة على التقصير في العمر اليسير وعلى الاشتغال بالترهات والفرح بالخزعات بل أضل أهل الأباطيل ونقول والله إنه كل من ثقل عليه هذا الكلام فهو بتلك الصفة التي وصفنا . ولهذا قلق ولو كان بريئاً منها سكن كما سكن عند ذكرنا ذم السراق والقطاع وأشباههم ولما كان له في هؤلاء مدخل فر إلى الاعتراض ليزداد من الله بعداً في رده الحق وليس اعتراضه علينا في هذا بأول دفع جرى على طلل فإنه لم يزل أبداً كل من تكلم في معاييب النفس وأحوالها ويبيد نقائصها ويذم شأنها على التعيين وعلى غير التعيين في كل زمان مذبذباً في زمانه لعدم موافقة أغراض النفوس فإذا انقضى زمانه ومات ونشأت طائفة أخرى بعده عند ذلك يعرف قدر ما جاء به ويُقال قال فلان (رضي

الله عنه) هكذا كان الناس ثم اعرف ولي (بقاه الله تعالى) فيما طراً بيني
 وبين نفسي رأيت في هذه البلاد مسجونة مقهورة فإني كما يعلمه ولي
 ممن يقول بوجوبها ولا يصح عندي أبداً موتها عن صفاتها لمعرفتي
 بحقائقها ومكانها ولما رأيت الله تعالى قد فتح إلى قلبي باب الحكمة
 وأجرى فيه بحارها وسبح سري في سبحها حتى إني والله لأنظر إلى
 معظم البحر إذا اشتدت عليه الرياح الزعازع فعلا موجه وارتفع دربه ثم
 انظر إلى تموج بحر المعارف والأسرار في صدري فأجد معظم ذلك
 البحر بما وصفناه من تلاطم الأمواج واشتداد الرياح ساكناً لا حراك به
 عند تموج بحر الحلم في صدري واصطفاه لا سيما في مكة المشرفة
 فداخلي من ذلك رعب شديد وجزع عظيم وخوف متلف فعزمت على
 قطع الميعاد وأن لا أقعد للناس فأمرت بالقعود والنصيحة للخلق قسراً
 وحتماً واجباً فقعدت رفيع الكلام مصلت الحسام ثم أخلو بنفسي حيث
 مسكني فأذن المواهب بالحال التي أنا عليها وفيها فلا أجد بينهما نسب
 يربط ولا سبب يضبط فخفت والله يا ولي مكر الله بي واستدراجه إياي
 فخلوت بنفسي وقد داخلي من ذلك ما لا يعلمه إلا الله تعالى ولا أجد
 طريقاً أدخل منه لتمحيص نفسي وقد انسدت على المسالك بفنون
 الحقائق الأول والمعارف إلى أن لطف الله بي برؤيا رأيتها وجدت بها
 الظفر على نفسي وإقامة الوزن عليها وذلك أني رأيت في منامي كأنني
 أدخلت الجنة فلما حصلت فيها ولم أكن رأيت ناراً ولا حشراً ولا
 حساباً ولا شيئاً من أهوال القيامة وجدت في نفسي راحة عظيمة لا
 يقدر قدرها وسرورها وحمدت الله تعالى فلما استيقظت علمت أن في
 حالي بعض اختلال وأن نفسي أدعت فوق حالها من جهة ما أعطاها
 الله من العلم ولو كانت متحققة بالحق تحقفاً عقلياً مقدساً إلهياً يغنيها
 عنها لم تلتذ بدخول الجنة ولا عقلت الراحة وأشغلها التنزه في جلال
 الله عن النظر إلى راحتها والتفاتها إلى نجاتها من أهوال الوعيد فأرادت
 تقيم على الحجة القاطعة من جهة تقسيم الحقائق الإنسانية ومراتبها

فلم أسمع لها وقامت حجتي عليها وآذنتها بقصورها وعظيم دعواها في شيء هي دونه وحمدت الله الذي أظفرتني بها فقلت لها يا نفس وعزة من جبلك على المخالفة وجعلك محلاً لكل وصف مذموم لا أتركك على دعواك حتى أعرض أحوالك كلها على كتاب الله تعالى وسنة رسوله (ص) فإن وافقت ذلك ولم أجد منك خلاً سلمت لك فيما أردت أن تقيمي عليّ من سلطانك والله تعالى يقول : ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾ وقال ابن مسعود (رضي الله عنه) : كن أنت المحدث إذا سمعته يقول : ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ إن وجدتك دون ذلك فأنا ألطف بك وأرحمك بأن أمشي بك على أحوال أهل الصفة الذين تتسبين إليهم وعلى أحوال الصفة من الصحابة الأعلام فيهم فإن خرجت مع واحد منهم في حال ما فأنا أنزل معك وأرضى عنك وإن لم أجد مشيت بك على تابعيهم على نحو ما فعلت بك مع الصحابة فإن قصرت عن أحوالهم مشيت بك على تابعي تابعيهم وتابعي تابعي تابعيهم فإما أن تقفي مع واحد منهم وإما أن تقصري عن شأوهم فالنار أولى بك واجعل حكمتك ومعرفتك كدرهم زائف عند صيرفي ناقد فقالت لي (وقالت بعض حق) أما النبي (ص) فلا أعرض حالي مع حاله أدباً معه فإن فلك النبوة ليس لنا فيه قدم ولا تقوم لك به على حجة فإنه البحر الذي يغترف منه الخاص والعام فإن شددت علي به رخصت أنا على نفسي به وتعارض الحجج وكل سنة وأنا أسقط لك الدعوى من أول وهلة وأهجم على الرخص واتخذها سنة كما وردت واقنع بالنجاة من النار خاصة واحرمك التنزل في المنازل العلا فيما بقي من عمرك وكذلك القرآن فإنه البحر الأعظم الذي لا يدرك قعره إذ ليس له قعر فيدرك ولا ساحل فيبلغ فيه هلك الهالكون ونجا المفلحون قال الله تعالى : ﴿يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً﴾ تالله لو عرضت الملائكة والنبيون والمرسلون أجمعون أحوالهم على آية من القرآن على حد ما يعلمه الله من أسرار ما أودع فيها من

الغيوب لبقى الكل إلى جانبها كلا شيء عندها لقد في أول آية منه :
وهي قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ يتيه العالم أسفله وأعلاه لا
يعرف طريقه أبداً ولا يفي أحد بحقيقتها فإن في الغيب أموراً لو بدا
منها لمحة بارق لأعلى عالم مشاهدة من العالم وأقواه إيماناً لترددوا فيها
واتهموا إيمانهم فهم جهلوا الأسماء فما ظنك بما تنطوي عليه
المسميات من المعاني وذلك لعلو الأمر عن مراتب العقول وانفرد الحق
بالخلق والإيجاد دون الخلق ولهذا قال الله تعالى : ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ
خَلَقَ﴾ ولما لم يكن لنا علم فما أعطانا فمنة منه وعلمه لا يتناهى فليس
بانصاف منك أن تعرض حالي على كتاب الله الأقوى الأقهر ولكن
حسبك من دون القرآن والنبوة من المؤمنين فخذ معي في مراتب الولاية
وأنا المنقادة السميعة السهلة المطيعة أرجع معك علي باللائمة إن
قصدت وأنصفك من نفسي أن أحصرت ولا تبقي في محل الغبن
والخسران فإنك أنا ، كما أنا أنت ، فليست غيري وليست غيرك ، وما
لك على حجة وقد أعطيت يد الانقياد في ائتمحيض والاختيار فتعجبت
والله من نفس تنقاد لهذا المقدار فتلوت كلامها وما جاءت به فوجدتها
قد انطوت على مكر وخداع وأمر هائل لا يستطيع وقد شابت الأمر
بالشرك وأبطنت الحرب في السلم فتعاميت عنها في ذلك .

وحررت نفسي معها في المناظرة ولم انتق لها من أحوالهم إلا ما
لم يخطر لها على بال ولا اتصفت به في حال وعدلت عن كل حال
رأيت لها فيه بعض اشتراك ولو علمت أنني أجدر ولياً من أولياء الله
تعالى لم يمتز عنها بحال ألبتة لم أناظرها بأحوالهم ولا أخذت من
مناقضتها ابتداء في سهولة إنقيادها وإظهار نصيحتها وتركها بتعرضها
لمعرفتي بنقصها وانها تعجز عن ذلك فقلت لها هاتي اخرجي أسنى ما
تدعيه وأعلي ما تحفظينه وأنا أعرض أولاً حال أهل الصفة وما كانوا
عليه مجملًا من غير تفصيلهم بأسمائهم رغبة في التخلص في أسرع
حال قالت قل قلت لها حدثنا محمد بن عيسون قال حدثنا أبو بكر بن عبد الله

قال حدثنا سعيد قال حدثنا أبو الفضل قال حدثنا أحمد بن عبد الله قال حدثنا أبو بكر بن مالك قال حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال حدثني أبي قال حدثنا وكيع قال حدثنا فضيل بن غزوان عن أبي حازم عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال رأيت سبعين من أهل الصفة يصلون في ثوب فمنهم من يبلغ ركبتيه ومنهم أسفل من ذلك فإذا ركع أحدهم قبض عليه مخافة أن تبدو عورته والله ما اجتمع لهم ثوبان ولا حضر لهم من الأطعمة لونهان ناشدتك الله يا نفس هل كنت قط أفقر منك الآن في حرم الله تعالى فقالت لا فقلت لها الحمد لله ترى لك قميصاً وأزاراً وسراويل وجبة وعمامة ونعلاً وبردة وخبزاً نقياً ولحماً طرياً وحلواء ويخدمك الرؤساء ويمثل أمرك تقولي أفعل فيفعل تقولي لا تفعل فلا يفعل أين أنت منهم ، و- أي أهل الصفة - ماتوا والله بحوائجهم في صدورهم على ما روينا من حديث سليمان بن أحمد عن هارون بن ملول عن أبي عبد الرحمن المقبري عن سعيد بن أبي أيوب عن معروف بن سويد الحزامي عن أبي عسانة المعافري عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي (ص) يقول فيهم فقراء المهاجرين الذين تتقي بهم المكاره يموت أحدهم وحاجته في صدره لا استطاع لها قضاء أخبر بهذا عن الله عنهم ، بالله يا نفس حصلت في هذا المقام قالت لا والله قلت لها فلست منهم ، استحي من الله وارجعي على عقبك ولا تطاولي لقوم لست منهم في شيء فقالت علي بغيرهم فليس لي هنا قدم قلت لها فهذا عمار بن ياسر روينا من حديث أحمد بن جعفر بسنده عن عمار (رضي الله عنه) أنه قال وهو يسير على شط الفرات اللهم لو أعلم أن أرضي لك عني أن أتردى فأسقط فعلت ولو علمت أن أرضي لك عني أن ألقى في هذا فأغرق فيه فعلت ناشدتك الله يا نفس هل خطر لك هذا قط في رضى الله لا تبغي به بدلاً قالت لا والله فانتقل بي عن هذا قلت لها نعم هذا عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) روينا بالسند المتصل إليه أنه قال ألا حبذا المكروهان الموت والفقر وأيم الله

إن هو إلا الغنى والفقر وما أبالي بأيهما أبتليت إن كان الغنى إن فيه
 للعطف وإن كان الفقر إن فيه للصبر ناشدتك الله يا نفس هل عاملت
 الله قط من عمرك بمعاملة أثمرت لك أن تمنّعي على الله بمثل هذا
 وتأمّني من الفتنة في الغنى والكفر في الفقر قالت النصف أما القطع فلا
 انتقل بي عن هذا فقد أربى عليّ قلت لها نعم هذا عمر بن الخطاب
 (رضي الله عنه) روينا بالسند المتصل إليه أنه لما أسلم قال له النبي
 (ص) يا عمر استره قال (رضي الله عنه) قلت والذي بعثك بالحق لأعلنه
 كما أعلنت الشرك ناشدتك الله يا نفس هل قمت لي قط في دين الله
 تعالى حامية عنه بأمر بمعروف تعين عليك أو نهى عن منكر في موطن
 دونه النفوس الحداد وعدم الناصر يغلب فيه على ظنك أنك تقتلين فيه
 قالت لا والله وإنما قاربت هذا المقام ولكن بسياسة وطلت بها نفوس
 الأعداء بحيث إن غلب على ظني الأمن والعافية في دمي قلت لها
 فارجعي قالت نعم هات غيره قلت هذا أبو عبد الله ثوبان مولى رسول الله
 (ص) روينا عنه بالسند الصحيح أنه سمع النبي (ص) يقول: «من يتقبل
 لي واحدة تقبلت له الجنة» . قال أنا يا رسول الله قال لا تسأل أحداً شيئاً
 فكان (رضي الله عنه) ربما سقط الصوط من يده وهو على بعيره فلا يسأل
 أحداً أن يناوله إياه حتى ينزل إليه ويأخذه ناشدتك الله يا نفس هل
 قدمت في مخاطباتك هذا الإقدام على أمر مجهول ثم لو أقدمت عليه
 هل كنت تفي به هذا الوفاء ولا تجنحي إلى تأويل فيه لحصولك في
 مقام أنت فيه بحكم التخير قالت كل ذلك لم يكن مني قلت لها فلا
 مع الأحرار ولا مع الموالى فصغرت وقالت انتقل بي عن هذا قلت
 نعم هذا عثمان بن عفان (رضي الله عنه) روينا عنه بالسند الصحيح عن
 شرحبيل بن مسلم أن عثمان بن عفان (رضي الله عنه) كان يطعم الناس
 طعام الأمانة ويدخل في بيته فيأكل الخبز والزيت ناشدتك الله هل
 فعلت هذا مع أصحابك قط أثريتهم باللطيف واستأثرت بالخشن
 فقالت لا والله بل كنت على أحد وجهين معهم إن لم يكن عندي طعام

غير ما جعلت بين أيديهم شاركتهم فيه وأن كان عندي أرق منه أكلت
وحدي ذلك مثل الحلو أو الخشكان وغير ذلك وأقول هذا غداء لين
لي وألبس على نفسي بهذه الترهات حتى لا أتغصص به عند أكله وأقول
هذه الإخوان في مقام التربية فينبغي أن لا أزرع حب الشهوات في
قلوبهم بإطعامي لهم مثل هذا ومقامي لا يؤثر فيه هذا الطعام فلا بأس
بتناولي إياه فأأكله على هذا الحال وقد عميت عن مطالبة الحق في
موازنة المعاشرة وأدناها أن أشاركهم في خشونتهم لما أعرفه من تأثير
الحقائق ولا شك أن عثمان (رضي الله عنه) ما فعل هذا في بدايته فتجد
عنه مندوحة وإنما فعل هذا بعد التملك قلت لها بارك الله فيك يا نفس
إذ أنصفتيني قالت الحق أحق أن يتبع هات غيري قلت لها نعم هذا
علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) باب مدينة العلم النبوي وصاحب
الأسرار وإمامها روينا بالسند الصحيح عن ضرار بن ضمرة الكندي قال
أشهد بالله لقد رأيت علياً في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله
وغارت نجومه يتمثل في محرابه قابضاً على لحيته يتململ تململ
السليم ويبكي بكاء الحزين فكأنني أسمعه الآن وهو يقول: «يا ربنا -
يتضرع إليه - ثم يقول للدنيا إلى تفررت إلى تشوقت هيهات هيهات
غري غري قد بتك ثلاثاً فعمرك قصير ومجلسك حقير وخطرك كثير
أواه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق» رويناه من حديث نوف
البكالي قال رأيت علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) خرج فنظر إلى
النجوم فقال يا نوف أراقد أنت أم راقق قلت بلى بل راقق يا أمير
المؤمنين فقال: «يا نوف طوبى للزاهدين في الدنيا الراغبين في الآخرة
أولئك قوم اتخذوا الأرض بساطاً وترابها فراشاً وماءها طيباً والدعاء
والقرآن دثاراً وشعاراً فرضوا الدنيا على منهاج عيسى (ع) . يا بحوراً
تحتوي عليها هذه الألفاظ الرائقة البليغة ليس لها سواحل ناشدتك الله
يا نفس هذا علي (رضي الله عنه) على تمكنه فيما تدعينه من المقام
والحال قد علم المقام وعمله وأحكمه ووفى الحقائق حقها على أتم

الوجوه ولم يجنح إلى تلويحات الأحوال كما فعلت أنت وأكثر العارفين في زمانك الذين أنبسطوا بعد قبضهم وأنسوا بعد هيبتهم وجمعوا المال بعد ما كانوا رموا به فرجعوا فرجع عنهم فتخيلوا أنهم في الحال وهم في الفسائت أنظري يا نفس تمكنه في المعارف وتبرزه في صدور المواقف وضربه بيده إلى صدره فيقول إن ههنا لعلومًا جمّة لو وجدت لها حملة . وهذا عمله في خلوته يخاطب دنياه بلسان مولاه توحيداً مكملًا وتمييزاً محققاً لم يخلط بين الحقائق ولا داخل الرقائق بعضها على بعض أحكم الحال والمقال والمقام وعلم أنها ليست بدار مقام فعاملها معاملة الراحل فعل الحكيم الحازم لم تحجبه مخاطبته لدنياه بلسان الهجر والقللا وتحسر على قلّة الزاد وبعد الطريق وذكر الوحشة بعد تحصيل الأنس وتغليظه الدارجين على منهاج من وجد شيئاً من غير شهوة فلم يعلق بقلبه كون ولم يحجبه ذلك كله عن تحقيقه في المشاهدة بل ذلك تمكين على تمكين حيث أعطى الموطن حقه وأنصف ربه ونفسه ودنياه وآخرفته فبقي حراً في وقته آتي كل ذي حق حقه في نفسه أنشدك الله يا نفس على معرفتك القاصية ومشاهدك الدانية هل صاحب هذا الحال استصحب هذا الإمام ؟

قالت لا والله إنما هي بوارق تلمع وأهلة تطلع في أوقات دون أوقات والغالب الشتات بل ندعي ومن رأيت من المشيخة التصرف فيها والأخذ من طبياتها من جهة حقائق الإيجاد السلبي والاستخلاف الذي صح لي وهو نقص في الحكمة حيث لم أكن مثل علي (رضي الله عنه) بحكم الموطن والله مالي شبه إلا بمن غاط في المسجد وصلّى في المرحاض وهكذا كل من وسع على نفسه في الدنيا من عال ودون فالكل والله تافه وفي العماية تائه ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ لولا أنني أريد أن أقف على أحوال هذه السادة لطويت معك بساط المناظرة وعد لنا عن هذه المحاضرة فقد رماني والله هذا الإمام بداهية ما أريد لها ناهية وقاصمة ما أرى لها عاصمة وقد أسلمت لبرهان العلم واستسلمت

لسلطان الحكم ومن مثل علي وهذا مقامه ومن يعادله وهذا كلامه لو لم ينبه لغفلتنا عن شرف منزلته إلا بسكوت الحصى في كفه لكان ذلك تنبيهاً لكل قلب نبه ، فياسوء ما كنت فيه . قالت : جزاك الله عني خيراً زدني زادك الله حكمة وإيماناً وحفاظاً وبياناً قلت لها نعم هذا الذي بشرت غير ما مرة أنك في مقامه : أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) روي بالسند الصحيح عن ابن عباس (رضي الله عنهما) أن أبا بكر الصديق (رضي الله عنه) خرج حين توفي رسول الله (ص) وعمر يكلم الناس فقال أجلس يا عمر فأبى عمر أن يجلس فقال أجلس يا عمر فتشهد أبو بكر ثم قال أما بعد فمن كان يعبد محمداً (ص) فإن محمداً قد مات ومن كان منكم يعبد الله عز وجل فإن الله حي لا يموت ثم تلا قوله تعالى : ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم﴾ الآية فسكن جاسهم بالقرآن وهو لم يزل ساكن القلب مع الرحمن ناشدتك الله يا نفس هل حصلت بالسر الذي تدعيه : إنه قد حصل لك من الحق حالاً ومقاماً من تعظيم الله ما علمت به ، تعظيم من عظمة الله من جهة تعظيم الله إياه ثم وفيته حقه في ذلك بـ كل شيء هالك إلا وجهه - من أن يسقط باستيلاء سلطان عظمة الله من قبلك عظمة خير العالمين إلى من دونه من أهل التعظيم مقاماً مستصحباً قالت لا والله يا وليي إنما أنا بين فناء وبقاء وتلاش وانتعاش وإقبال وإدبار ووصول ورجوع وما كنت فهمت قط هذا من هذا الكلام والذي خرج من فم الصديق حتى نبهتني عليه ولا سمعته من أحد من أشياخنا ولا رأيته ، على أن لنا بحثاً وأسراراً في الصحابة وتعظيمهم ومكانتهم ما سبقت إليها ولا رأيت أحداً ممن لقيته من أصحابنا عثر على ذلك ، إلا أنهم يجمعون عليه ويحومون حوله ولم يجدوا لتحصيله منفذاً وإنما هو وهب المغي لا يوصل إليه بعمل وهم يطلبونه بالإستعداد والمجاهدة . ثم قالت انتقل بي عن هذا المقام فقد قصم ظهري قلت لها نعم هذا سلمان الفارسي (رضي الله عنه) دونك في

النسب الطيني وإمامك في النسب الديني رويناً بالسند المتصل عن رجل من أشجع قال سمع الناس بالمدائن أن سلمان كان في المسجد فأتوه فجعلوا يشوبون إليه حتى اجتمع إليه نحو من الألف قال فقام فجعل يقول أجلسوا أجلسوا فلما جلسوا افتتح سورة يوسف يقرأها قال فجعلوا يتصدعون ويذهبون حتى بقي نحو من مائة فغضب وقال : الزخرف من القول أردتم قرأت عليكم كتاب الله فذهبت . ناشدتك الله يا نفس فهذا مجلس حق فاصدقيني هل سمعت قط كتاب الله يتلى فلم تهتدي فلما أنشد شعراً اهتزت وجنت وأخذك الحال فقالت والله ذلك ديني ودأبي أبداً وأزيدك والله ما هو انحسن من هذا مما أنا عليه إني أقرأ القرآن ويدركني العياء وأقول لك والله لا أقدر على شيء وقد ضعفت وكل خاطري فتجيبني إلى ذلك وتترك المصحف من يدك أو التلاوة من لسانك فما تليت أن نبهتك على مقطوعة من كلامك أو كلام غيرك في أي فن كانت فتفتح فأك بها وتنشدها وترنم فيها وترتلها مترسلاً على طريقة تستحسنها شيطناً طيب النفس ما بك من كسل ولا عياء فلو كان ذلك الكسل والعياء حقيقة مني لاستصحبك وإنما ثقل على القرآن وكنت اجعلك في تلاوته تحدر ولا ترتل عسى تستريح وكذلك في أوراد العبادات التي يستحب الثبوت فيها وذلك كله خديعة مني بك ترى هكذا حالة المؤمن لا والله بل كلام الله للمؤمن الذي وأشوق إلى سماعه من الظمان للماء الزلال ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ على نقص الإيمان بل والله على ذهابه يا شؤم نفسي ويا حسرتي ويا أسفي كم مرة والله سمعت آية من كلام الله فثقلت علي ومجبتها وكم والله رنة شعر سمعتها فاستعذبتها أخاف الله يا وليي على نفسي وعلى من هو مثلي أن ينقل اسمه من ديوان المؤمنين إلى ديوان من قال فيهم الحق جلّ وعلا ﴿وإذا ذكر الله وحده أشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون﴾ وقد اتصفت بهذا يقول القول زخرف القول وغروره فأهتز وأقوم وأقول لك شاباش هذا والله حسن فأقسم بالله كاذباً ولا يزال الملعون من شيطان يرقصني كما

يفعل صاحب القرد بقرده فإذا أخذ حاجته مني صفعني صفة فاضجعتني
 فيقوم من قل فلاحه فيغطيني برداء حتى يخلي سبيلي وأقوم واهني وقد
 عزاني الملاء الأعلى في ديني وفيما مضى من عقلي فإذا كان آخر الليل
 أنام والجماعة السوء مثلي وقد تعبنا من كثرة ما رقصنا فلا نلحق ننام
 إلا والصبح قد قام فنقوم نتوضأ أقل ما ينطلق عليه اسم الوضوء ثم
 نجيء إلى المسجد هذا إذا وفقت وإلا فالأغلب على من هذه حالته أن
 يصلي في داره بأنا أعطيناك الكوثر وسورة الفاتحة كيف ما كانت
 والقنوت ليس بواجب فاتركه وانقرها مخففة جداً ثم اضطجع لاستريح
 هيات والله ما كانت طريق الله هكذا ، وإن كنت موفقاً أكثر من غيري
 توضأت وخرجت إلى المسجد وإذا دخلت فيقال لي قد صلى الناس فلا
 أجد لذلك حزناً ولا أكثر ثبل أقيم الصلاة وأصلي وكأنه ما فاتني شيء
 إلا لا هي القلب مسروراً وأقول بلسان الحال قد حصل لي أجر
 الجماعة بقصدي وأراحني الله من تطويل الإمام وإن أدركت الصلاة مع
 الإمام فإنما في تلك الصلاة على أحد وجهين إذا كنت مستريح القلب
 من كل شيء أما حاضر في ليلتي البارحة وحسنها ما كان أحسن ذلك
 القول وشعره واقضي صلاتي كلها في هذا حتى لا أدري ما صلى
 الإمام ولا بما صلى وإنما رأيت الناس يفعلون شيئاً ففعلت مثلهم ركعوا
 فركعت وسجدوا فسجدت ووقفوا فوقفت وجلسوا فجلست أو يكون
 النوم قد أخذ مني وهي الحالة الثانية فأترقب عند ذلك فراغ الإمام
 وتثقل على القراءة وأغتاب الإمام في نفسي وأمقته وأقول ما أثقله قد
 أفتتح سورة الحشر أو الواقعة هلا كان قنع بالانفطار والفجر والنبي
 (ص) قد أمرنا بالتخفيف هذا خلاف السنة ونحو قل وتهلل كل ذلك
 لغير الله أما تستحي يا نفس من الله وقد وقعت البارحة مسخرة
 للشيطان وملعبة له ورقبتك مصفحة له وناصيتك بيده وأنت في هذا كله
 تلتذين ثم الداهية العظمى والطامة الكبرى والداء العضال والمصيبة
 الآزفة التي ليس لها من دون الله كاشفة إنني أقول في تلك الحالة كلها
 إنني كنت مع الله وفي الله وبالله قمت وفي الله شطحت وإلى الله

وصلت وقلت لله وقال لي الله ويعتب أولائك الغمر الجهال مثله فيقول
لم لم تسألني إذا رجعت من حالي ، ولو سئل لا فتضح ولو فرضت أنه
أجاب فقد يجيب الكاذب عما يسأل عنه مثل هذا ويؤيده الشيطان
بخيالات ينصبها له ويبيديها في سره فيعبر عنها قال الله تعالى : ﴿ وَإِنْ
الشَّيَاطِينُ لِيَوْحُونَ إِلَىٰ أُولِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ
لَمُشْرِكُونَ ﴾ فهذا ولي الشيطان ينطق بلسانه وهو مطيع له فانتظم في
أهل الشرك فناهيك من مجلس يحوي أو يضم المشركين وأولياء
الشياطين . أخبرني شيخي - وكان من أهل الكشف والوجود - عن رجل
أعمى البصر من الصالحين حضر مبيتاً في سماع فقال الأعمى هذا
إبليس قد دخل على صورة معزى يشم واحداً واحداً .

قال الشيخ وقعد الأعمى ينعت الجماعة الأول فالأول على التتابع
كما هم عليه من اللباس والصورة وهو يقول ترى الملعون يمشي عليهم
ناظراً إليهم حتى قال تراه قد ثبت عند واحد عليه عباءة حمراء وعمامة
واحرام التفتوا عليه قال فالتفتنا فرأيناه يستجلب الحال فقال الأعمى أرى
الملعون قد وقف عند هذا الرجل ثم قال تراه يريد أن ينطحه بقرنه فإذا
ذلك الرجل قد صاح صيحة وغلب عليه لحال وقام يشطح فقام أهل
المجلس لقيامه وهو بهذه المثابة . ما أحسن قول الله عز وجل إذ
يقول : ﴿ وما علمناه الشعر وما ينبغي له ﴾ فناهيك من خصلة لم يرضها
لنبيه وقال : ﴿ إن هو إلا ذكر وقرآن مبين ﴾ بارك الله فيك يا نفس
أقررت بالحق وخضعت له فقالت الحق أحق أن يتبع . صدق والله
سلمان الفارسي (رضي الله عنه) ورضي الله عن أبي مدين حيث قال لا
يكون المرید مریداً حتى يجد في القرآن كل ما يريد . هذا مقام المرید
فما ظنك بالعارف هل يعرج على كلام غير كلام سيده وكل من سمع
من الشيوخ فهو على أحد أمرين إما قبل أن تحصل له مرتبة التمكين
فالسماح عندنا حرام في ذلك الوقت أو سمع بعد التمكين بشروطه
المعروفة التي ذكرناها في غير هذا الموضع ويعلم من هذا أنه قد نزل

بعض من لقيناه من المشايخ وكان يولع بالسماع وكان قبل ذلك لا يقول به فسألنا عنه فقلنا الشيخ متمكن ومقام السماع نازل وحظه النفس فما هو الشيخ والله أعلم إلا نزل إلى السماع رحمة بنفسه دنيوية وجاد على السماع بذلك ليشرّف به السماع فإن السماع يشرّف بالعارفين ولا يشرّف به العارفون فصار نزوله إليه كنزول الحق لعباده هل من تائب فيغفر له فيشرّفنا نزوله إلينا ولم يشرّف هو بنا هذا إذا كان الشيخ عالياً ولكن يقع منه هذا نادراً إلا إن أراد الحق أن يبقيه فيه زماناً طويلاً فيعلم الشيخ إن كان عارفاً متمكناً أنه مطرود وأن رجوعه إلى السماع مستصحباً عقوبة من الله عزّ وجلّ له لذنّب أتاه ولذلك عقبه بالسماع فلا يجد حاله إلا فيه ويفقدها إذا أفقده مكرراً من الله واستدراجاً فيبكي على نفسه ويبحث على ما جنته نفسه فيجد ذنباً ضرورة لا بد من ذلك والله يلبسنا وإياكم رداء العافية ويحلنا وإياكم المراتب السامية العالية ولا يجعلنا وإياكم ممن له إلى سماع السماع أذن واعية فيكون من أهل القلوب اللاهية . يا نفس أعرض عليك غير هذا ؟ قالت نعم أحوال مثل هؤلاء هي الشفاء والدواء إذ ليس لنا سبيل إلى الله تعالى إلا على مدارجهم ولا إرتقاء إلا على معارجهم فبأحوالهم يتحقق وهي الوصلة إلى الحق .

قلت لها : نعم هذا أبو الدرداء (رضي الله عنه) رويناه من حديث أحمد بن جعفر بن حمدان قال حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه حدثنا أيوب السختياني عن أبي قلابة قال أبو الدرداء (رضي الله عنه) إنك لا تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوهاً وإنك لا تفقه كل الفقه حتى تمقت الناس في جنب الله ثم ترجع إلى نفسك فتكون لها أشد مقتاً منك للناس . وكان أبو الدرداء (رضي الله عنه) من الذين أوتوا العلم ناشدتك الله يا نفس هل كنت قط على ما أشار إليه أبو الدرداء قالت كنت على بعضه لا كله قلت لها فقد نقصك من الفقه على قدر ما

نقصك منه فقد ثبت جهلك قالت صدقت ولكن أشرح لي قوله قلت لها نعم سمعاً وطاعة أما قوله إنك لا تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوهاً تحت هذا الكلام بحور طامية وأسرار عالية عمادها الذي يرجع إليه معرفة القرآن ومنزله وتنزله ، وليس هذا المكتوب بجملته لما بني عليه من الاختصار فأما الوجوه يا نفس التي يكون بها فقيهاً من رآها فهي كثيرة نذكر منها وجهين أو ثلاثة فمنها المسألة التي كنا فيها في سماع الشعر وذلك أن الإنسان له أحوال كثيرة يجمعها حالتان مسميتان بالقبض والبسط وإن شئت الخوف والرجاء وإن شئت الوحشة والأنس وإن شئت الهيبة والتأنس وغير ذلك فمتى أتصف الإنسان عارف كان أو مريداً متمكناً أو متلوناً بحال من هذه الأحوال فإنه من المحال أن يتصف بها عبد من غير باعث ولا داع إليه إلا في وقت ما وهو مقام ومفزع نص عليه الشيوخ وهو أن تجد قبضاً أو بسطاً وتجهل سببه فالمحققون يخافون من ذلك أن يمكر الله بهم فيه فمتى تصف الإنسان بشيء من هذه الأحوال فلينظر من داعية إلى ذلك ومن سلطانه فإن كانت آية من كتاب الله فإن حاله انبنى على أصل صحيح وبيان ذلك إن النفس ليست بمحل للقرآن الكريم فإنه يثقل عليها بطبعها وحقيقتها وهنا تفصيل فإن القرآن يعم الحقائق كلها والنفس من جملتها فلا بد أن يكون لها فيه نصيب وما بقي إلا تعيين ذلك النصيب من غيره وكنا نذكره لولا المدعي يأخذه فتركناه لهذا السبب والشيطان أبعد من أن يكون له حال فيك فإن الشيطان ليس له منك من يأخذ منه إلا نفسك وهي قد أبت عن حمل القرآن لضعفها عنه فمن المحال أن ينبعث عن القرآن حال من الأحوال من الشيطان أو النفس ألبتة وتعرف عند ذلك أن الحال في العقل والعقل في الروح لا في النفس وأن الروح صاحب الملك وأن الملك صاحب العلم والفراسة والإلهام واليمنى والآخرة والذكر والحق واليقين ، فلا بد أن تكون في حالك الذي قام بك من القرآن صاحب علم أو شيء مما ذكرناه لك فلهذا أشار الجنيد (رضي الله عنه) علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة ولهذا قال الله تعالى إن في

ذلك لآيات لأولي الألباب ولأولي النهى ولقوم يعقلون كما إنه إذا أنبنى الحال من الشعر والسمع والصفق والألحان إنما يتلقاه من الهوى والهوى في النفس والنفس صاحبة الشيطان الذي الشعر نفثه على ما أخبرنا به رسول الله (ص) إلا ما تعلق منه بتوحيد الله عز وجل فهو محمود من محامد النفس خاصة ما زال انبعائه من أصله وأن الشيطان للنفس بمنزلة الملك للروح فكما كان أميناً على الأوصاف التي ذكرنا بعضها كذلك الشيطان في مقابلة صاحب الجهل والملك في مقابلة صاحب العلم والظن في مقابلة الفراسة والوسوسة في مقابلة الإلهام والشمال في مقابلة اليمين والدنيا في مقابلة الآخرة والغفلة في مقابلة الذكر والباطل في مقابلة الحق والشك في مقابلة اليقين والمعصية في مقابلة الطاعة والتشبيه في مقابلة التنزيه والشرك على مراتبه في مقابلة التوحيد وغير ذلك مما تضيق هذه العجالة عنه فإنه باب واسع هذا انموذجه وكل حال ينبعث عن القرآن فلا بد أن يعلو بصاحبه إلى أحد هذه المنازل على قدر السماع ومعنى ينبعث عن القرآن لا يزول سامعه عن المعنى الذي نزل له القرآن لا لخيال قام به عند تلاوة القرآن في معشوقه أو المرأة التي اتخذها أختاً على دعواه ولكل هذا شروط وكل حال ينبعث عن الشعر والسمع فلا بد أن ينزل بصاحبه إلى أحد هذه الدرجات وسر ذلك أن أصل إنبعاث القرآن كلام الله المقدس الذي ما اعتراه قط نقص نفس ولا تدنيس ولا جاز عليه ذلك فمن المحال أن يعطي إلا بحسب طهارته . وأصل إنبعاث الشعر كلام المخلوق والناقص الدنس الذي ما صح له كمال طهارة لامتزاجه فالغاية في الشعر أن يكون ممتزجاً لا تكمل طهارته أبداً فمن ثم إلى الآن لم يزل في النقص والتدنيس فمن المحال أن يعطي حالاً ناقصاً دنساً . هذا حالة العارفين المكملين فيهم ومعهم أتكلم من السادة الكبار يعرفون هذا من نفوسهم وأما من نزل عنهم من المدعين والمريدين فلا كلام لنا معهم ولهذا قال أبو يزيد البسطامي (رضي الله عنه) في سماع

العارفين مطلقاً يحكم على مقام أهل السماع أنهم أهل الكدية واستعاذ بالله منه كما استعاذ من طي الأرض والمشى على الماء وفي الهوى وسأل أن يهيئه الله لشيء من أشيائه أي سر من أسرارهِ ، فلو تبدلت هذه الأسرار في السماع لما استفاد منه مثل أبي يزيد وقال في حق المرید إذا رأيت المرید يميل إلى السماع فاعلم أن فيه بقية البطالة فجعل محله للمريدين البطالة وللرجال الكدية ، وإنما سقت كلام أبي يزيد (رضي الله عنه) لما وصلني عن بعض الناس من المقلدين في بعض الطريقة أنه قال لما سمع مني الإنكار في السماع وقد أوضحت له حقيقته حتى اعترف بها فقال تقليد بتقليد والأولى أن أقلد الشيوخ المتقدمين الذين قالوا بالسماع ، ولهذا سقنا كلام أبي يزيد لكونه من المتقدمين وأن كلامنا موافق له ولقد بلغني من ثقة عن رجل من المتمشixin لا من الشيوخ كان يلزم مجلسنا فسمعنا نتكلم في السماع واجازته وأنه مباح وبيننا نقصه في المقامات وأين ينتهي بصاحبه فغضب وانقطع فسألت عنه وما شأنه فقل إنه قال قد كان الشيوخ يسمعون مثل ابن الدقاق وغيره فلم أدر قبل ثم أتعجب من جهله في حكمه على الحق بالرجال والرجال لا يعرفون إلا بالحق لا الحق يعرف بهم فهذا جهل محض وتقليد صرف ومن هذه حالته في العلم كيف يرجي فلاحه في نفسه أو كيف يتصور أن يفلح به غيره أو أتعجب أيضاً من عدم تحصيله لما أوردناه في السماع فإن لم نحرمه بل أبحت الشعر والغناء على القدر الذي جاءت به الشريعة ثم تكلمنا في نقصه من المقامات وأين منزلته والفرق بينه وبين غيره كما نفرق بين التوكل والزهد أي الذي ينبنى على معرفة التوكل ما هو والزهد ومقامه وأن المتصف بصفة ما يكون بحيث مقامها ويتميز في أهلها وقد سمعت من أبي محمد عبد العزيز المكتوب له هذه الرسالة (رضي الله عنه) إشارة عجيبة لا يعرفها إلا متمكن متحقق جداً في قوله تعالى : ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً﴾ فقال

(رضي الله عنه) سر هذه الآية في قوله لبشر ولا يكون بشراً إلا من غلبت عليه البشرية ، وفي الآية عندي تفصيل عجيب في نساء يوسف (ع) ما يؤيد إشارته ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم وعندنا من الدلائل عليه ما لا يحصى فهذا من بعض وجوه القرآن الذي نبه عليها أبو الدرداء (رضي الله عنه) ومنها أن يردك إلى الحق ويصرفك عن الخلق في معاشك وما ضمن لك وغير ذلك مما تحذر وترجو فإن القرآن يحرضك على هذا وكذا فعل أبي الدرداء بآية قراها قال فأردت أن أجمع بين العبادة والتجارة فلم يجتمعا فأخذت في العبادة وتركت التجارة يؤيده قول الله تعالى لموسى (ع) أطلب مني كل شيء حتى الملح تلقيه في عجينك وهذا المقام هو الذي أخذه سالم عن النبي (ص) وقد تقدم ذكره ، وهذا يعني ما في كلامه .

فالت النفس قلت الحق . وفي هذا غنية لي إن كنت عاقلة فالويل لمن يعلم ولا يعمل سبع مرات وقد بقي من كلام أبي الدرداء الكلمتان مقت الناس في جنب الله ومقتة لنفسه ، ومقت الناس مشكل . فقلت لها يا نفس ليس الأمر كما ظننت أما قوله ولا تفقه كل الفقه حتى تمقت الناس في جنب الله فاعلمي أن للإنسان حالتين : لا يخلو إما أن يغلب عليه ربه أو نفسه فإن غلب عليه ربه لم يعرف الناس ولا ما هم عليه وأداه ذلك إلى تركهم في جنب ما حصل في نفسه من الأنس بالله ويمقت هنا بمعنى يترك فإن من مقت شيئاً تركه فكني بالأصل عن الفرع وأما من غلبت عليه نفسه فالمقت هنا على بابه وصورته ، ومقتة للناس أن الغالب على الناس المخالفة والبطالة ، فلا يزال يمقت منهم تلك الأفعال وينبهم عليها ويقرع أسماعهم بها وينصحهم في دين الله وجنبه فيثقل ذلك عليهم ويستخفونه ويردوه ويجتنبوه ويسدون الأبواب في وجهه حتى يتركوه فرداً وحيداً لا صديق له ولا معاشر كما قال (ع) ما ترك إلحق لعمر من صديق فإذا رجع الناس أعداء له لا يكلموه رجع بالضرورة إلى نفسه فمقتها بأنواع من

التوبيخ من قلة الصدق في العمل وعدم الإخلاص ودخول العلل في
المخاطبات والبخاظر والنصيحة والإرشادات فصار مقتته لنفسه أشد من
مقتته للناس ولا يقدر انفصل عن نفسه ولا تنفصل عنه مثل الناس فيفتح
له في ذلك من الفقه الإلهي والعلم اللدني مالا يعرفه إلا من شاهد ،
وحسبك يا نفس فقد أطلت على سؤالك فاقني بهذا القدر فإن هذه
المسألة أعظم وأقوى من أن أبسط شرحها في المجلدات فقالت قنعت
وبالله استغنيت فهات غيره فقد عرفت وتحققت أنني لا شيء ولا أصلح
لشيء وأنني في وجودي وفي عيني كما كنت قبل وجودي و ﴿قد
خلقتك من قبل ولم تكن شيئاً﴾ و ﴿هل أتى على الإنسان حين من
الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً﴾ وفي الحقيقة لم يزل كذلك ولا يزال
قلت لها نعم هذا عثمان بن مظعون صاحب رسول الله (ص) الذي
أودى في الله فرضي وتعرض لذلك : لما مات دخل عليه رسول الله
(ص) حين مات فأكب عليه ثم رفع رأسه ثم حنى الثانية ثم رفع رأسه
ثم حنى الثالثة ثم رفع رأسه وله شهيق فعرفوا أنه يبكي فبكى القوم
فقال : أذهب عنها أبا السائب فقد خرجت منها ولم تدنس منها
بشيء . روينا هذا من حديث أبي حامد بن جبلة بسنده إلى ابن عباس
(رضي الله عنهما) ورويناه أيضاً من حديث أبي بكر بن مالك بسنده عن
عبد ربه بن سعيد المدائني أن رسول الله (ص) دخل على عثمان بن
مظعون وهو في الموت فأكب عليه يقبله فقال رحمك الله يا عثمان ما
أصبت من الدنيا ولا أثابت منك . ناشدتك الله يا نفس فنعمت النفس
عهدتك في الإنصاف من نفسك خبريني لركنت في زمان النبي (ص)
على هذه الحالة التي أنت عليها اليوم وتموتين هل كان رسول الله
(ص) يفعل بك مثل هذا قالت أما لو جازاني على ما أنا فيه وعليه
لخفت أن يقول لأصحابه صلوا على صاحبكم بل أعتقد والله في شأني
أنني أقرب إلى قوله تعالى : ﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا
تقم على قبره﴾ مني إلى قوله تعالى : ﴿وصل عليهم إن صلاتك سكن

لهم ﴿ هيهات كيف أن يكب عليّ أو يقبلني بل كان يبكي عليّ شفقة
 لما يراه من سوء حالي وشر ما انقلبت إليه فياليته يؤذن له (ص) في
 الصلاة على غير أن قوله (ص) في معرض الثناء عليه ما أصبت من
 الدنيا ولا أصابت منك أنه ما سعى لها ولا أصابت من قلبه تشوقاً إليها
 ولكنه أتته من غير سعي إليها فقبلها وتصرف فيها فلبس منها الرقاق
 وأكل منها الرقاق وعلا مسكنه مع فراغ القلب من ذلك وهذا في القدرة
 جائز مع القدرة عليه ولقد رأيت في زماني هذا قوماً من أهل التمكين
 والتحقيق والمعارف قد فعلوا مثل ذلك أكلوا الشهي من الطعام الغالي
 ثمنه وشربوا اللذيذ من الشراب ولبسوا الرفيع من الثياب وربما شيدوا
 البناء وأحكموا ورفعوا سقوف بيوتهم إلى حيث لا يحتاجونه وذلك عن
 أمرهم بذلك وعن استحسانهم لذلك وسكوتهم عليه ولم يعدلوا بعد
 المعرفة والتحصيل لمقام التمكين إلى ما كانوا عليه في بدايتهم من ترك
 الأسباب وطرح الرقاق بعضها على بعض فأخاف أن لا يكون هذا
 كذلك وقد قيل عنه ما أصابت الدنيا منك شيئاً ولا أصبت منها شيئاً من
 باب السعي والكد فأوضح لي شأنه وكيف كان حاله وهذه الحالة التي
 رجع إليها العارفون هل هي خير مما كانوا عليه أو كانوا في حال فقرهم
 وتقشفهم أحسن وأثبت قلت لها نعم أما حال عثمان بن مظعون فروينا
 هذا عنه رضى الله وأما حالة العارفين الذين ذكرتهم من بسط الدنيا
 فروينا من حديث عبد الله بن أحمد بن إسحاق قال حدثنا إبراهيم بن
 محمد بن الحسين قال أخبرنا الربيع الرشدي قال أخبرنا ابن وهب قال
 أخبرني يونس بن زيد عن ابن شهاب أن عثمان بن مظعون (رضي الله
 عنه) دخل يوماً المسجد وعليه نمرة قد نخلت فرقها بقطعة من فروة
 فرق له رسول الله (ص) ورق أصحابه لرقته فقال مه كيف أنتم يوم
 يغدو أحدكم في حلة ويروح في أخرى وتوضع بين يديه قصعة وترفع
 أخرى وسترتم البيوت كما تستر الكعبة قالوا وددنا أن ذلك قد
 كان يا رسول الله فأصبنا الرخاء والعيش قال فإن ذلك كائن وأنتم اليوم

خير من أولئك وهذا الحديث يا نفس قد انبا عن الفريقين اللذين سألتني عنهما هذا حال عثمان على ظاهره فقير من الدنيا وهذا حال من توسع في الدنيا من العارفين قد جعل الله حالة الضيق والشدة خيراً للإنسان من الرخاء والسعة وكأني والله يا نفس بك تقولين : أرى أهل هذا المجلس وهم الصحابة الأخيار وهم العارفون بالله المحققون حقائق الوجود لما ذكرهم النبي (ص) صورة الترفه والتنعم اهتزوا وسألوا متى ذلك وفرحوا بهذا القدر فكذلك أنا أيضاً أرضى بهذه المنزلة وكذلك العارفون الذين وسعوا على أنفسهم دنياهم فقلت لها ما أعماك عن نور مشكاة النبوة الساطعة أنوارها فقالت لا تنظر إلى كلامها ظاهراً هذا لتعلم أن النعيم لا يحجب عن الله ولا الشقاء والبؤس يحجب عن الله إذا كان الحق غالباً على قلب العبد فإنه لا نعيم أشد ولا أعظم من نعيم النبيين والأولياء في الجنة في ملابسههم ومآكلهم ومشاربهم ومناكحهم ومراكبهم ومفاكهتهم ولا يحجبهم ذلك عن الله البتة لسرين قلت لها فأننا مسلم أن ذلك لا يحجب عن أنه ولكن قال الرسول (ص) لتلك الجماعة الذين قالوا وددنا أن ذلك قد كان فأصبحنا الرخاء لتحققهم بالله تعالى وعلمهم أن الأحوال لا تحجب عن الله تعالى فإن ذلك كائن يعني بسط الدنيا عليهم مبشراً بفتح ملك كسرى وقيصر ثم قال لهم أنتم اليوم خير من أولئك فأشار بقوله وأنتم لعصمتهم من الدنيا وأن فتحت في حياتهم كأبي عبيدة بن الجراح وغيره وفي ذلك ترجيح الفقر وشظف العيش على النعيم فبين لهم هذا المقام ونبههم على نقص ذلك المقام ونقص من اتصف به وإن بقيت عليه مشاهدته ومعرفته فإنه نعيم استعجله في غير موطنه وطرفه استعمله في غير موضعه فوضع الحكمة في غير موضعها فعادت معرفته جهلاً وكشفه حجاباً وحقيقته خيالاً ألم ترى إلى الذي قال لو كشف الحجاب ما أزددت يقيناً لعظيم الكشف وهذا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) كيف أجنب طيب الطعام وفهم من كلام الله تعالى : ﴿أذهبتم طياتكم

في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها﴾ إنه ينسحب على كل إنسان من مؤمن وكافر أترى يا نفس هذا العارف الذي وسع عليه في الدنيا يكون أفقه من عمر بن الخطاب الذي وافق رأيه في الأحكام وقد شهد له الرسول (عليه الصلاة والسلام) أنه ليس من الباطل في شيء أجيبني يا نفس فإنك لا تعدوا قدرك لا أنت ولا العارف الذي وسع عليه إذ لا بد من التأسّي بحالة النبي (ص) أولى فهو الذي عاش في البؤس وضنك العيش حتى رق له عمر (رضي الله عنه) لما أثر شريط^(١) السرير في جنبه (ص) فقال تذكرت كسرى وقيصر فقال (ص) أما ترضي أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة أين أنت يا نفس من قول سلمان الفارسي (رضي الله عنه) على ما روينا من حديث أبي أحمد محمد بن أحمد الغطريفي ومحمد بن عاصم قالا حدثنا أبو القسم البغوي قال حدثنا علي بن الجعد قال حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة قال سمعت أبا البحتري يحدث عن رجل من بني عباس قال صحبت سلمان الفارسي (رضي الله عنه) فذكر ما فتح الله على المسلمين من كنوز كسرى فقال إن الذي أعطاكموه وفتحهم عليكم وخولكم لممسك خزائنه ومحمد (ص) حي ولقد كان يصبح وما عنده دينار ولا مد من الطعام ، بم ذاك يا أخا بني عباس ؟ فانظري يا نفس كلام هذا الصاحب وشرحه لحالة النبي (ص) وتعريفه وتقديره في قوله بم ذاك ثم إنه لو كانت الدنيا تنال على حسب المراتب عند الله من الرفعة لكانت كلها لرسول الله (ص) فلا أرفع منه منزلة عند الله ولا أرفع منه درجة ولا نعيماً في الجنة وهذه حالته في دنياه ولم يرض لقرة عينه بنته فاطمة (رضي الله عنها) أن تنال فيها راحة ولا توسعاً ، هذا وقد رأى أثر جبل القربة في عنقها من حمل الماء وأثر الرحى من الطحين في يديها وجاءه السبي فلم ير أن يعطيها خادماً يحول بينها وبين ذاك الشقاء الذي نزل بها وأعطاهما بدل ذلك تسييحاً وتحميداً وتكبيراً وقال هو خير لكم فأين أنت يا نفس وهذا العارف فلا الحق رضيها لنبيه ولا

(١) في الهامش : « الشريط : جبل يقتل من الخوص » مختار الصحاح .

النبي (ص) رضيها لابنته ووصيه وإذا لم تقتد بهذا النبي ولا عرفت تنزيل الحق للمواطن فقد خرجت عن حد المعرفة بالله وحب حالة رسول الله (ص) واتباعه ولا فائدة ولا تمييز للعارف عن غيره من العوام إلا باستصحابه في حالته حالة النبي (ص) وأما العامة فانهمكت في المباحات فبم تميزت عنهم في ظاهر ك كما تدعيه في باطنك . ألسنت تدري يا نفس ليلة كنا عند أبي محمد عبد العزيز المكتوب له هذه الرسالة ونحن على العشاء فتكلمنا في حالة الدنيا إذا أقبلت على العارف وتصرف فيها مع تعري قلبه عن التعلق بها فقال (رضي الله عنه) والله ما يستوي فراغ قلب عارف عنده درهمان وفراغ قلب عارف عنده درهم فصاحب الدرهم أفرغ من صاحب الدرهمين هذا حكم الشيخ أبي محمد عبد العزيز في هذا الحال ، فكيف لو دخل معك في باب المقام والأسرار لكان يرميهم خارجاً عن المعرفة فإن الحقائق ترميه والموطن يمجّه .

حكاية جاء رجل إلى سيدنا أبي مدين (رضي الله عنه) فقال يا سيدنا إن الشيطان يؤذيني فعسى أن تدفعه عني فقال له الشيخ قد شكى إلى إبليس منك قبلك ، فقال وما قال لك قال قال لي يا شيخ تعلم أن الدنيا خلقها ربي وجعلها (حبالي) وشركي وملكيته فجاء فلان فتعدى علي وأخذ مالي منها فعدوت وراءه أطلب حقي منه ووالله ما قصدت منهم إنساناً ولا طلبت منهم أحداً ولا برحت من مكاني احفظ علي بستان مالي فمن أخذ منه شيئاً تبعته أطلب حقي وقد عرفت أن فلاناً يشكوني إليك فسبقته وقد أخبرتك بالقصة وأنا لا أترك منه حقي واسلبه مما أقدر عليه من دينه أو أرد إلى متاعي كما فعل الزهاد والموفقون ولهذا قال تعالى : ﴿إِنْ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ فَمَالِي عَلَيْهِمْ حِجَةٌ وَلَا حَقٌّ فَإِنَّهُمْ تَرَكَوْا مَالِي وَهَذَا تَعْدِي وَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ مِنَ الظَّالِمِ؟﴾ فقال الرجل أنا فقال له الشيخ ردّ إليه دنياه يرد إليك آخرتك . هل قنعت يا نفس قالت نعم

قلت هذه عشرة شهود كما شرطت لك قد وفيت بذكرهم من خير القرون من صحابة رسول الله (ص) ولم أجد لك قدماً مع أحدهم فلمن اتبعت أو بمن تأسيت فقالت اتبعت هواي فتأسيت بشيطان مدع في المعرفة مكب على الدنيا مثلي فاثمر لي الدعوى وعراني من ملابس التقوى فقالت وأنا أتوب إلى الله الآن وأتضرع إليه في الوفاء والعدل والميزان وكما وفيت أنت بشهودك العشرة ومننت علي بذلك فقد وفيت لك بالإنصاف والإقرار بالحق ولم أمر ولا دافعت الحق بل كنت سلسلة القياد وذلك بتوفيق الله وعصمني الله ممن قال فيهم : ﴿ فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً ﴾ ولو عاندت وجحدت لما جنيت على أحد إلا على نفسي رزقني الله وإياك من توحيده والعلم به سبحانه وتعالى المراتب العلية والمنازل القدسية حيث لا تدنيس ولا جهل ولا تلبس إنه عليم حكيم .

فاشرع في النمط الثاني فلقد لقيت سامعاً مطيعاً . فقلت ﴿ الحمد لله الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ﴾ فقالت ﴿ الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ﴾ لقد جاءت رسل ربنا بالحق : حمدي يا سيدي أسلم من حمدك فإنك في معرض الفتنة من جهة التسخير وحمدي على تحصيل الهداية والتيسير. فقلت لها صدقت أرعوي بسمعك هذا خير التابعين بشهادة سيد المرسلين (ص) أعني أويس بن عامر القرني (رضي الله عنه) الذي أوصى به النبي (ص) عمر وغيره وذكره لهم رويناً من حديث أبي بكر محمد بن أحمد قال حدثنا الحسن بن محمد قال حدثنا عبيد الله بن عبد الكريم قال حدثنا سعيد بن أسيد بن موسى قال حدثنا ضمرة بن ربيعة عن أصبغ بن زيد قال كان أويس القرني إذا مشى يقول هذه ليلة الركوع فيركع حتى يصبح وكان إذا أمسى تصدق بما في بيته من الطعام والثياب ثم يقول اللهم من مات جوعاً فلا تؤاخذني به ومن مات عرياناً فلا تؤاخذني به ناشدتك

الله يا نفس هل اتصفت بهذه الحالة قطعت الليل بسجدة واحدة ثم لم
 ترفعي حتى الفجر واستصحبتي أن لا تبتي إلا مثل هذا المبيت كما
 استصحبه أويس وقلت لله مثل ما قاله ؟ قالت لا والله كل ذلك لم يكن
 ولكني يلوح لي من وراء هذا الكلام بوارق من الحقائق عسى أن
 تنبهي عليها قلت لها نعم أويس هذا كان متمكناً في مقامه على بينة
 من ربه وعلامة عارفاً بحركاته المستأنفة على يقين من تحصيل أحواله
 السالفة وكانت ليلة السجود عنده معروفة وليلة الركوع عنده كذلك وغير
 ذلك من الأفعال ومن هنا يعرف تمكنه فإن أبا يزيد وهو من الأقطاب
 ومن كبار الأئمة لم يحصل له هذا التمييز فإنه كان يقول إني أستقبل
 الليلة أطلب قطعها راعياً وساجداً فأقف في صلاتي فلا أركع أو أركع
 فلا أسجد أو أسجد فلا أرفع فكم بين من يأتي قصداً وبين من يمشي
 فيفتح له بهذه حالة صلاة أويس وأما كونه يتصدق بطعامه وشرابه وثيابه
 ثم يقول اللهم من مات جوعاً فلا تؤاخذني به ومن مات عرياناً فلا
 تؤاخذني به ينبه على مقامه الأعلى وقطبيته المثلى وهذه حالة إمام
 وصاحبها على الغاية في المقام فيعطي ما ملك ويتضرع لمن استخلفه
 على عبيده بالرحمة لهم والشفقة عليهم قال الله تعالى لرسوله (ص)
 ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ وقال له لما دعا على رعل وذكوان
 وعصية إن الله لم يبعثك سبأاً ولا لعاناً وإنما بعثك رحمة للعالمين ولم
 يبعثك عذاباً والمكمل من سبقت رحمته غضبه قالت النفس يا سيدي
 أرفق علي ولا تعجل فقد ظهر لي في مسألة أويس هذا أمر خرج
 الحلاج فيه فوقه وذلك أن الحلاج (رضي الله عنه) قال مخبراً عن حالته
 إذا قعد الرجل عشرين يوماً دون غداء ثم جاءه طعام فعرف أن في
 البلد من هو أحوج منه لذلك الطعام فأكله ولم يؤثر ذلك المحتاج فقد
 سقط وهذا مقام عال كما رأيته وهذا أويس (رضي الله عنه) ما كان
 يتصدق إلا بفضل طعامه وثيابه فيأخذ حاجته أولاً ثم يعطي ما يفضل
 كل ليلة عن قوته وهو يعلم أن ثم جائع ولم يعطه وهذا كما رأيته قلت

لها يا نفس ما أنت إلا اعترضت اعتراض من لا يفري الحقائق ولكنك جهلت المقام فاسمعي الجواب واعلمي أو أوساً هو الإمام الذي لا يلحق لتعلمي أيتها النفس أن العارف إذا كان صاحب حال مثل الحلاج فرق بين نفسه وبين غيره فعامل نفسه بالشدة والقهر والعذاب وعامل نفس غيره بالإيثار والرحمة والشفقة وإذا كان العارف صاحب مقام وتمكين وقوة صارت نفسه عنه أجنبية لا فرق عنده بينها وبين نفوس العالم فما يلزمه في حق نفوس الغير من الرحمة والشفقة يلزمه في حق نفسه لكونها صارت عنه أجنبية وارتفع هو علوياً وبقيت هي مع أبناء جنسها سفلية فلزمه العطف عليها كما لزمه العطف على غيرها فإن صاحب الصدقة العارف إذا خرج بصدقته ولقي أول مسكين يدفع إليه الصدقة فإن تركه ومضي إلى مسكين آخر ولم يدفع فقد انتقل من رضى ربه إلى هوى نفسه وخرج من ديوانهم فإنها مثل الرسالة لا يخص بها شخصاً أول من يلقاه يقول له قل لا إله إلا الله ولا شك أن هذا العارف إذا وهبه الباري رزقاً يعرف أنه مرسول إلى عالم النفوس الحيوانية فينزل من حضرة عقله إلى أرض النفوس ليؤدي إليهم ذلك القدر الذي وجه به فأول نفس تلقاه نفسه لا نفس غيره وسبب ذلك أن نفوس الغير غير ملازمة له ولا متعلقة به لأنها لا تعرفه ونفسه متعلقة به ملازمة لبابه فلا يفتحه إلا عليها فتطلب أمانتها منه فيقدمها على غيرها لأنها أول سائل وإلى هذا السر أشار الشارع بقوله أبدأ بنفسك ثم بمن تعول والأقربون أولى بالمعروف لتعلقهم بك ولزومهم بابك والغير لا يتعلق بك ولا يلزمك ملازمة نفسك وأهلك فلما تأخروا كما هي الأسرار سواء تخرج من عند الحق على باب الرحمة فأى قلب وجه متعرضاً سائلاً عند الباب دفع إليه حظه من الأسرار والحكم وحظه منها على قدر ما يرى فيه من التعطش والجوع والسذلة والافتقار وهم خاصة الله وإلى هذا المقام أشار المشايخ وعليه حرّضت الشريعة بقولها تعرضوا لنفحات الله ومن تأخر ومن نسي نسي فأنظركم بين المنزلتين

منزلة الحلاج ومنزلة أويس وأنظر هذا المقام على علوه وسموه كيف
اشترك في الظاهر صاحبه مع أحوال العامة فإن العامة أول ما تجود على
نفسها ، ولا يتعدى جودها إلى غيرها وإنما يتصرفون تحت حكم هذه
الحقيقة وهم لا يشعرون ولما أعموا عن هذا السر وصاروا مثل البهائم
لا يعرفون مواقع أسرار العالم مع الله حرصوا على الإيثار ومدحوا به
وهو مقام الحلاج الذي ذكرت عنه ورأيت أنه غاية فهكذا فلتغزل
الحقائق وتحاك حلل الرقائق فقالت النفس هذا شيء والله ما قرع قط
سمعي من غيرك وإن هذا لهو الحق المبين ولمثل هذا فليعمل العاملون
وفي مثل هذا فليتنافس المتنافسون ولقد شرحت صدرأ ورفعت في
المعارف قدرأ ولكن بقيت عليك في المسألة تمشية أيضا حقيقة وهي
لعمري دقيقة وهي قولك إن الله بعث النبي وقد استسقى فاستسقى
فسقى ثم استسقى في المقام الآخر فأبى وقال أغيث كغيث الكفار
فاختار لهم الشدة على الرخاء وهو من باب بسط العذاب وقبض الآلاء
قلت صدقت يا نفس قد أثبت ذلك في الحجة البيضاء قالت فاودعني
إتياء في هذه العجالة الغراء قلت لها نعم نخرج مالك في موطأه عن
شريك بن عبد الله بن أبي نمر عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) أنه قال
جاء رجل إلى النبي (ص) فقال يا رسول الله هلكت المواشي وتقطعت
السبل فادع الله لنا فدعا رسول الله (ص) فمطرنا إلى الجمعة قال فجاء
رجل إلى رسول الله (ص) فقال يا رسول الله تهدمت البيوت وانقطعت
السبل وهلكت المواشي فقال رسول الله (ص) اللهم ظهور الجبال
والأكام وبطون الأودية ومنابت الشجر قال فأنجابت عن المدينة أنجياب
الثوب يا أهل القلوب المحجوبة عن الإطلاع على ما أودع في هذه
الألفاظ من الغيوب .

شعر :

لقد أسمعت لو ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تنادي
أعطى هذا سيد العالم (ص) مفتاح المنع والعطاء والشدة والرخاء

فاستسقى واستصحح وأثبت ومحي ثم لازم الأدب بعد هذا فقال أغيث
 كغيث الكفار فرد السائل بسؤاله حكمة أجراها مرسلة ومرتبة أبدائها
 مكملة فأجاب الأول على غاية الإستسقاء حتى يكون في المنع كما
 كان في العطاء ثم إذا نظرت حقيقة هذا المنع وجدته عطاء ان لله في
 قلوب ماتت في صدورهم وخزاً فلا أحس منهم من أحد ولا أسمع لهم
 ركزاً هذا نبي مكرم ورسول ممجد معظم قام خطيباً في شأن أداء فرضه
 وجاء إليه رسول من أهل أرضه فرغب إليه في نقض إبرامه لما تحقق
 من مرتبته عند علامة فألقى ظهر الكف إلى السماء وصفا في الحالة
 العماء لما كان الكف محل العطاء لم يفعل ذلك في الاستصحاح فأسبل
 رداء الجو وتموج من حينه الدو فكان نكاحاً معنوياً وكان السيد شاهداً
 ولياً فلما صح الانتظام ووقع الإلتحام درت الضروع واخضرت الزروع
 هيهات والله بعد تقطب وبسالة وستور مسدولة دون عين الغزاة وأغبرار
 واقتار وخشوع وافتقار كما قال المهيمن الجبار - ﴿ومن آياته أنك
 ترى الأرض خاشعة﴾ فأشفقت لها السماء فابدت مقلتها من خشوعها
 دامعة فلاححت بين الخشوع والدموع الروضات اليانعة أين أهل الفرح
 والدعة وأرباب الثروة والسعة والله والله لو أن شمة من روائح الموجود
 ولا اسماً من أسماء المعبود إلا يبذل المجهود وصحة المقصود وتفطير
 الكبود وخشوع الجوارح وتقصف الجوانح وإقامة المآتم والمنائح
 والهمهمة في المحاريب بالقرآن والتعرض بتوفير الهمة وصدق التوجه
 للرحمن في ري الظمآن ناداني الحق في سري عبيدي وابن أمي
 وعزتي وجلالي ومجدي وعظيم سلطاني وعلو مجدي لا نال معرفتي
 أحد ولا نيل من جزيل وعدي إلا حتى يتصف في هذه الدار الدنيا بما
 أتصف به أهل الشقاء في الدار الآخرة من الخشوع ذلة وافتقاراً والبكاء
 دمعاً مدراراً والزفرات المتصاعدة وينضيح الجلود وتضيق الكبود وتنغص
 العيش النكيد بهذا حليت أوليائي وأنبيائي لما سبق لهم عندي من
 السعادة بعد جهد ومكابدة وجوع وشد الحجارة على البطن قاساه

الرسول السيد المطيع حتى فتح له مع أصحابه في لبن وتمردون لحم ولا خبز بر قال لأصحابه أنكم لتسألن عن نعيم هذا اليوم فنغص عليهم عيشهم على قلته وأخذهم له على فاقة فأحوال الدارين معكوسة وصفاتها منكوسة حفت الجنة بالمكاره وهي ما يقاسيها المؤمن في الدنيا والكافر في العقبى فانظر في أي حزب تكون خلقت الدنيا وخلقت لها أهلاً وخلقت النار لهم موطناً وخلقت الآخرة وخلقت لها أهلاً وجعلت الجنة لهم مقبلاً ومحل رؤيتي مستقراً بمسكناً ملكت الدنيا من سبقت عليه كلمتي بغضبي القاصم ولعنتي فطرده السابقة من باب رحمتي وملكيت الآخرة كل كل خاشع أواه جد في مسراه وضمير بطنه للسباق وخاف من حسرة الاستباق فإنه طلق : أنا غايته ورؤية كريم وجهي والتزّه فيه نهايته ﴿والسابقون السابقون أولئك المقربون﴾ تسابقوا على نجب الأعمال وتحققوا بحقائق المقاسات والأحوال فوصلوا إلى مشاهدة الجلال والجمال إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه فهو براقه الذي أخرجه من عنده فإلى مرجعهم لأن قولهم بلا عمل من الأعمال وعندي يجلدونه إذا رجعوا من غير نقص ولا اختلال نكتة بإشاراتها من خلف ستاراتها وخلق الإنسان ضعيفاً أقام السيد (ص) على أعواده ساعة إشنهاده فقبل له لما طلب منه الإستصحاء أنعمت فأبليت وبالغت في التكحيل لإزالة الرمد فأعميت فاهتز قضيب البان عبداً لله (ص) وإن شئت قلت عبد الرحمن وجمال في ميدان الاستخلاف وأراد الجنوح إلى فئة الإئتلاف من فئة الاختلاف ووقف في برزخ الاعتدال بين وزير الجلال والجمال فغيض الماء وقضي الأمر واستوت السفينة على الجودي الخاشع حين وصف غيره بالمتناول لها وهو بالمتواضع حكمة أبداها وسريرة أخفاها وكيف لا ينال ما عنده إلا بتناول الهمم وأبرار المقسم من أجل المقسم فانجابت حتى صاروا منها في مثل الإكليل وهي هالة لما كانوا أهل وجه واحد في أصل السلالة فلورأوا من وراء ظهورهم وعن إيمانهم وعن شمائلهم

مثله لرأوها كالهالة أو كالكلة وقد ورد إنجياب الثوب لاظهار ما في
 الغيب إنجياب الشوق وارتفاع الشك والريب ﴿إن مع العسر يسراً﴾ أواه ثم
 أواه على أسرار تظهر وأقمار تزهر ولا عيون تبصر ولا ألباب تشعر غار
 (ص) أن نتخذ من دون الله نداً وأن نصمد إليه في الحوائج صمداً لما
 كان الحق إلى جميع العبيد أقرب من جبل الوريد ثم أسدل بيننا وبينه
 حجاب الرسالة وجعل بيدها مفاتيح الكفالة وكتب لهم بها مرسوم
 الوكالة فنظرت القلوب إلى أيديهم وما برحوا وبسط ناديمهم فإذا انقضت
 الحوائج أسرعوا في الإدلاج يا لها من حسرة ويا شؤمها من فترة حيث
 لم يقدرُوا قدره الواحد ضمن له همه ومع تصحيحه لذلك فاته يومه
 فعاش على النصف من عمره وبهذا زاد على غمره والآخر أشرك في
 تحصيل الأبناء تعمير الوعاء حتى كأن الجميع ليس لهم خالق وأن هذا
 الرسول هو الواحد الرازق رضي الله عن الصديق الأكبر صاحب السر
 العلم الأزهر في قيامه على منبر الطرفاء يوم الداهية الدهياء بموت سيد
 الأنبياء أمين الأمناء وعلم الاهتداء وقد ذهل من كان عندنا أقوى الأقوياء
 فما ظنك بالضعفاء وصار الرقيق الأسيف على مذهب السيدة الحميراء
 لما كان يظهر عليه من شدة التلهف والبكاء فكاء أضعفهم عيناً وأقواهم
 في صميم السويداء فقال من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن
 كان يعبد الله فالله حي لا يموت ثم تلى استشهداً على مقالته الزاهراء
 ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل﴾ إلى آخر الآية الغراء ثم
 تلاها بقوله جل ثناؤه ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾ ثم خاطب جميع الخصماء
 فهذه القوة الإلهية من زهده في القوت وسوقه جميع ما ملكته يده الله
 ورسوله فملكه مفاتيح التابوت فمن غيرته عليه وأمانته إخفاؤه إياه إلى
 يوم فقد صاحب رسالته ففتح تابوت صدره وأبدى مكنون سره ونبه
 بعلمه على مكانته من الله وقدره وأقر له الفاروق بالشرح لما بدت لعينه
 أعلام الفتح ولم يزل الصديق مفتوحاً له قبل ذلك من حين ملك
 المفتاح ورسم ديوان الممالك وإنما كان ينتظر رحلة السيد (ص) إلى

حضرة المحبوب الرفيق الأعلى المالك فحلاه بزينته لما شاركه في نوره
وطينته ثم سلك في الهين واللين على مندرجته لما دعى له أن يكون
معه وفي درجته ثم أبان له برهان الموافقة بما ذكره عن نفسه (ص)
وعنه إلى المقام من المسابقة فسبق النبي (ص) الصديق ولذلك قيل له
هناك قف إن ربك يصلي بصوت عتيق فاستأنس وحن من جهة إحساس
البدن وقد اتضحت أسرار ولمعت في عليّة هذا الوجه بوارق الأنوار
فترجع إلى قيامه (ص) بين وزيري جمال وجلال فأشار إلى وزيره
الموهوب والعبوس القطوب أن قد ظهرت سطوتك على الأعداء الغمر
بالهلاك والدمار بين صباح رعود ومرهفات بروق وسهام أمطار فأمر
العسكر الجرار الجنح فقال لم يهلك سلطاني ولكن سمح فتبسم
الجمال وقال صدق يا رسول الله وصدقت وبالحق نطق صاحبي وبه
نطقت فإننا تألفنا من غير شتات وحينئذ بلا تقدم ممات أنا أظهر لك
صدق صاحبي فيما ادعاه وأبدي متزهاً عجيباً إلى مقلتك النجلاء مما
حواه غصنه ووعاه فأرسلهما خديمين في العالم أمينين خليلين نديمين
وانصرف السيد إلى حضرة العين وغاب بلا كيف حيث لا أين فلذلك
لم يروا منه (ص) إلا صورته المشهودة والحركة المعروفة بيننا المعهودة
فقلنا ما شهد به علينا من الأوراق وسارت به الركبان والرفاق وتلى في
المكاتب والمنابر والمحارب في جميع الآفاق .

﴿ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق﴾ عشرة لا
تطاق وصيحة ما لها من فواق يعاينها قائلها عند السياق إذا بلغت النفس
التراق وقيل هل من راق ﴿والتفت الساق بالساق﴾ وأيقن بالفراق .

ولكل واحد من هذه العشرة حظ يراه إذا كان إلى ربه المساق
فعليكم بالإيمان الصرّف على غاية الجلاء وإلاً والله فقد نشر الميثاق
وأخذتم بضيق الخناق . خرج أبوداود في مراسيله في هذا الباب عن
شريك يعني ابن نمر عن عطاء بن يسار أن رجلاً من نجد أتى رسول
الله (ص) فقال يا رسول الله أجذبنا وهلكنّا إن لم يدركنا الله منه برحمة

فادع الله يغيثنا فدعا رسول الله (ص) فرجع الرجل وقد مطروا فأحيوا
عامهم ذلك ثم رجع من عام قابل فقال يا رسول الله دعوت الله فأحيينا
عام الأول فادع الله لنا فقال رسول الله (ص) غيث كغيث الكفار ، لا :
ارجع .

ما أعظم ما تحويه هذه اللفظة من الأسرار لما علم (ص) أن
نزول الأمطار عند الله بمقدار وأن ذلك لم تجدر بنزوله الأقدار ردعة
بقوله أغيث كغيث الكفار فادرج له العلم في موعظة زاجر وألصق
استمرار الرخاء والسعة بالآمة الكافر وإن المؤمن يتقلب في نفسه بين
شدة ورخاء وفي قلبه بين خوف ورجاء ليهرب إلى التقليل والزهادة من
دام عليه في الدنيا في مأكله ومشربه نعيمه فليتحقق أن ذلك النعيم
عذابه وجحيمه فيفرح المقل بفاقته ويستعمل نفسه في الشكر عليها
جهد طاقته ويتنقص له عيش الغني فيؤجر في تنقصه ويحرضه على
التروح بتبديد المال في ذات الله أو تنقصه فيالها كلمة واحدة عمت
القبضتين وانسحبت على الطائفتين لقد أوتي جوامع الكلم وفصل
الخطاب والحلم استشهادي له في توقفه عن الإجابة ﴿وأنزلنا من السماء
ماء بقدر﴾ ﴿وما ننزله إلا بقدر معلوم﴾ ﴿ولكن ينزل بقدر ما يشاء﴾ فتأمل يا
ولي سدد الله نظرك ما تنطوي عليه هذه الإشارات وما تتضمنه من
المعارف والأسرار والمقامات هذه العبارات ولما سمعت النفوس إیرادي
لهذه الشذور وإبرازي هذه الأسرار المخدرات من خلف هذه الستور
تيقنت أنها في تبان وأن عليين إنما هو الأولى الأبواب فالقت يد السمع
والطاعة على ملازمة السنة والجماعة والإقرار بالفضل والسبق للمتقدم
فإن ذلك هو الإمام المعلم وأيقنت بإقتراب الساعة ونفاد أيامها لظهور
شرائطها وأعلامها يقول من كرم هذه الأمة وفضلها : إن من شرائط
الساعة أن يلعن آخر هذه الأمة أولها وقد رأينا في هذه البلاد من هذه
الشرائط كثيراً وليتهم وقفوا مع سب أولهم من جنسهم ولا يتعدون من
ذلك إلى ما هو أعظم منه فوالله يا ولي لقد قرع سمع أخيك سب

عيسى (ع) وسب بعض الصحابة الكرام وسب الله ذي الجلال والإكرام ، وأما المدعون في هذه الطريقة فقد قاربوا الخروج من الجماعة بل خرجوا فطائفة بلغني عنهم أنهم استغنوا عن شفاعته الرسول (عليه الصلاة والسلام) لما تحققوا به مع الحق من حقائق الوصال ولو رأيت أحوالهم لرأيت نقيضه الكون وما تسخن به العين وقال من تبرز فيهم إماماً وهو لا يعرف ما خلق له ويدعي الكشف الأتم مع الحق فقال إن الجنة لم تخلق هكذا أعطاه كشفه المكشوف وعقله السخيف المتلوف وأما وليك فسمع واحداً وقد عاب عليه بعض أصحاب السماع لمثلي يقال هذا إن جبريل لا يحسن يسمع مثلي ولا الملائكة فقامت عليه في ذلك فتساب واستغفر الله وأناب ، فهذه قلوبهم الحاضرة ووجوههم الناضرة إلى ربها الناضرة ! ؟ بل والله وجوه باسرة تظن أن يفعل بها فاقرة ثم أعرف وليي (أبقاه الله تعالى) أن نفسي الخبيثة بطانة السوء لما قرع سمعها أخبار هؤلاء السادة والأئمة القادة كان لها من صغرها تعشق بحديث أويس القرني (رضي الله عنه) قالت لي عسى تنصر لي من شأنه بعض ما وصل إليك فإنني ألهج بذكره وأطو معي بساط المناظرة وسد باب التمثيل والمحاضرة وألق ما شئت من أنواع المجاهدة فلإني الموافقة المساعدة فشكرت الله على طلبها الاختصار وتركها التطويل وعلمت أنها تريد سلوك سواء السبيل قلت لها نعم حدثني أبو محمد بن يحيى قال حدثني أبو بكر بن أبي منصور قال حدثنا أبو الفضل بن أحمد حدثنا أبو أحمد بن عبد الله عن أبيه قال حدثنا حامد بن محمود قال حدثنا سلمة بن شبيب قال حدثنا أبو الوليد بن إسماعيل الحراني قال حدثنا محمد بن إبراهيم بن عبيد قال حدثني محمد بن يزيد عن نوفل بن عبد الله عن الضحاك بن مزاحم عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال بينما رسول الله (ص) في حلقة من أصحابه إذ قال ليصلين معكم غداً رجل من أهل الجنة قال أبو هريرة فطمعت أن أكن أنا ذلك الرجل فغذوت فصليت خلف النبي (ص) وأقمت في المسجد حتى

أنصرف الناس وبقيت أنا وهو فبينما نحن كذلك إذا قبل رجل أسود متزر بخرقة مرتد برقعة فجاء حتى وضع يده في يد النبي (ص) ثم قال يا نبي الله أدع الله لي فدعا له النبي (ص) بالشهادة وإنا لنجد منه ريح المسك الأذفر فقلت يا رسول الله أهو هو قال نعم إنه لمملوك لبني فلان قلت أفلا تشتريه تعتقه يا نبي الله قال وأني لي بذلك إن كان الله تعالى يريد أن يجعله من ملوك الجنة يا أبا هريرة إن لأهل الجنة ملوكاً وسادة وإن هذا الأسود أصبح من ملوك الجنة وساداتهم يا أبا هريرة إن الله عز وجل يحب من خلقه الأتقياء الأخفياء الأبرياء الشعثة رؤوسهم المغبرة وجوههم الخمصة بطونهم من كسب الحلال الذين إذا استأذنوا على الأمراء لم يؤذن لهم وإن خطبوا المتنعمات لم ينكحوا، وإن غابوا لم يفقدوا، وإن حضروا لم يدعوا، وإن طلّعوا لم يفرح بطلعتهم وإن مرضوا لم يعادوا وإن ماتوا لم يشهدوا قالوا يا رسول الله كيف لنا برجل منهم قال ذلك أويس القرني قالوا ومن أويس القرني قال أشهل ذو صهوة بعيد ما بين المنكبين معتدل القامة آدم شديد الأدمة ضارب بذقنه إلى صدره رام ببصره إلى موضع سجوده واضع يده اليمنى على شماله يتلو القرآن يبلي على نفسه ذو طمرين لا يؤبه له متزر بإزار صوف مجهول في الأرض معروف في السماء ، لو أقسم على الله لأبر قسمه ألا وإن تحت منكبه الأيسر لمعة بيضاء ألا وإنه إذا كان يوم القيامة قيل للعباد ادخلوا الجنة ويُقال لأويس قف فاشفع فيشفعه الله في عدد مثل ربيعة ومضر يا عمر ويا علي إذا أنتما لقيتماه فاطلبا منه أن يستغفر لكما يغفر لكما الله تعالى قال فمكثا يطلبانه عشر سنين لا يقدران عليه فلما كان في آخر السنة التي هلك فيها عمر (رضي الله عنه) قام في ذلك العام على أبي قبيس فنادى بأعلى صوته يا أهل الحجيج من أهل اليمن أفيكم أويس من مراد فقام شيخ كبير اللحية وقال إنا لا ندري ما أويس ولكن ابن أخ لي يُقال له أويس وهو أخمل ذكراً وأقل حالاً وأهون أمراً

من أن نرفعه إليك وإنه ليرعى إبلنا حقير بين أظهرنا فعمي عليه عمر
كأنه ما يريد فأتى ابن أخيك هذا نحو مني هو قال نعم قال وأين
يُصاب قال بأراك عرفات قال فركب عمر وعالي سراعاً إلى عرفات فإذا
هو قائم يصلي إلى شجرة والإبل حوله ترعى فشدا حماريهما ثم أقبلا
إليه فقالا (السلام عليك ورحمة الله وبركاته) فخفف أويس الصلاة ثم قال
و (عليكما السلام ورحمة الله وبركاته) قال من الرجل قال راعي إبل وأجير
قوم قالوا لسنا نسألك عن الرعاية ولا عن الإجارة ما أسمك قال عبد الله
قالا قد علمنا أن أهل السموات والأرض كلهم عبيد الله فما اسمك
الذي سمتك أمك قال يا هذان ما تريدان بي قالوا وصف لنا محمد
(ص) أويساً القرني فقد عرفنا الشهولة والصهوبة وأخبرنا أن تحت
منكبك الأيسر لمعة بيضاء فأوضحها لنا فإن كان بك فأنت هو فأوضح
منكبه فإذا اللعة فابتدراه يقبلانه ويقولان نشهد أنك أويس القرني
فاستغفر لنا يغفر الله لك قال ما أخص باستغفاري نفسي ولا أحداً من
ولد آدم ولكن من في البر والبحر من المؤمنين والمؤمنات والمسلمين
والمسلمات يا هذان قد أشهر الله لكما حالي وعرفكما أمري فمن أنتما
قال علي أما هذا فعمر أمير المؤمنين وأما أنا فعلي بن أبي طالب
فاستوى أويس قائماً وقال السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله
وبركاته وأنت يا ابن أبي طالب فجزاكما الله عن هذه الأمة خيراً قالوا
وأنت فجزاك عن نفسك خيراً فقال عمر مكانك يرحمك الله حتى أدخل
مكة فأتيتك بنفقة من عطائي وفضل كسوة من ثيابي هذا المكان وميعاد
بيني وبينك قال يا أمير المؤمنين لا ميعاد بيني وبينك لا أراك بعد اليوم
تعرفني ما أصنع بالنفقة ما أصنع بالكسوة أما ترى على إزاراً ورداء من
صوف متى تراني أخلقهما أما ترى نعالي مخصوفتين متى تراني أبليهما
قد أخذت من رعائي أربعة دراهم متى تراني آكلها يا أمير المؤمنين إن
بين يدي ويدك عقبة كؤوداً لا يجاوزها إلا ضامر مخف مهزول فانخف
يرحمك الله فلما سمع ذلك من كلامه ضر بدرته الأرض ثم نادى

بأعلى صوته ألا ليت أم عمر لم تلد عمراً يا ليتها كانت عاقراً لم تعالج حملها إلا من يأخذها بما فيها ولها ثم قال أويس بأعلى صوته يا أمير المؤمنين خذ أنت ههنا حتى آخذ أنا ههنا فولى عمر وأخذ أويس إبله فوافى القوم إبلهم وخلي عن الرعاية وأقبل على العبادة حتى لحق بالله عز وجل .

قال المغيرة كان أويس القرني يتصدق بثيابه حتى يجلس عرياناً لا يجد ما يروح فيه إلى الجمعة ومما يؤيد هذا ما روينا من حديث ابن دينار قال قال رسول الله (ص) إن من أمتي من لا يستطيع أن يأتي مسجده أو مصلاه من العري يحجزه إيمانه أن يسأل الناس منهم أويس القرني وقال عبد الله بن سلمة غزونا أذربيجان وكان أويس معنا فلما رجعنا مرض علينا فحملناه فلم يستمسك فمات فنزلنا فإذا قبر محفور وماء مسكوب وكفن وحنوط فغسلناه وكفنناه وصلينا عليه ودفناه فقال بعضنا لبعض لو نزلنا فعرفنا قبره فإذا لا قبر ولا أثر وقال هرم بن حيان قدمت الكوفة فلم يكن لي هم إلا أويساً أسأل عنه فدفعت إليه وهو بشاطئ الفرات يتوضأ ويغسل ثوبه فعرفته بالنعته فإذا رجل آدم مخلوق الرأس كث اللحية مهيب المنظر فسلمت عليه ومددت إليه يدي لأصافحه فأبى أن يصافحني فخنقتني العبرة لما رأيت من حاله فقلت السلام عليك يا أويس كيف أنت يا أخي فقال وأنت فحياك الله يا هرم بن حيان من ذلك علي قلت الله عز وجل قال قل له : ﴿سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً﴾ قلت يرحمك الله من أين عرفت اسمي واسم أبي فوالله ما رأيتك قط ولا رأيتني قال عرف روعي روحك حين كلمت نفسي نفسك لأن الأرواح لها أنفس كأنفس الأجساد وأن المؤمنين يتعارفون بروح الله عز وجل وإن نأت بهم الديار وتفرقت بهم المنازل قال قلت حدثني عن رسول الله (ص) لأحفظ منك قال إني لم أدرك النبي (ص) ولم يكن لي معه صحبة وقد رأيت رجالاً رواة وقد بلغني من حديثه كبعض ما بلغكم ولست أحب أن أفتح هذا الباب

على لا أحب أن أكون قاضياً أو مفتياً في نفسي شغل قال قلت فأتل
علي آيات من القرآن أسمعهن منك وادع لي بدعوات وأوصني بوصية
قال فأخذ بيدي وجعل يمشي على شاطئ الفرات ثم قال قال ربي
وأحق القول قول ربي عز وجل وأصدق الحديث حديث ربي عز وجل
وأحسن الكلام كلام ربي عز وجل أعوذ بالله السميع العليم من
الشیطان الرجيم : إن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين . ثم شهق شهقة فأنا
أحسبه قد غشي عليه ثم قرأ حتى بلغ يوم لا يغني مولى عن مولى شيئاً
ولا هم ينصرون إلا من رحم الله إنه العزيز الرحيم . ثم نظر إلي فقال
يا هرم بن حيان مات أبوك ويوشك أن تموت ومات أبو حيان فإما إلى
جنة وإما إلى نار ومات آدم ومات حواء يا بن حيان ومات إبراهيم
خليل الرحمن يا بن حيان ومات موسى نبي الله الرحمن يا بن حيان
ومات محمد رسول الله (ص) وعليهم أجمعين يا بن حيان مات أبو
بكر خليفة المسلمين ومات أخي وصديقي وصفيي عمر ، وأعمراه - قال
وذلك في آخر خلافة (عمر رضي الله عنه) - قال قلت يرحمك الله إن
عمر لم يمت قال بلى إن ربي عز وجل نعاه لي وقد علمت ما قلت أنا
وأنت غداً في الموتى ثم دعى بدعوات خفاف ثم قال هذه وصيتي لك
يا بن حيان كتاب الله عز وجل ونعي الصالحين من المؤمنين ونعي
الصالحين من المسلمين ونعيت لك نفسي فعليك بذكر الموت فإن
استطعت أن لا يفارق قلبك طرفة عين فافعل وأنذر قومك إذا رجعت
إليهم وأكدح لنفسك وإياك أن تفارق الجماعة فتفارق دينك وأنت لا
تشعر فتموت فتدخل النار يوم القيامة ثم قال اللهم إن هذا يزعم أنه
يحبني فيك وزارني من أجلك فادخله على زائراً في الجنة دارك دار
السلام ورضه من الدنيا باليسير وما أعطيته من شيء في الدنيا فاجعله
في سر وعافية واجعله لما تعطيه من العمل من الشاكرين استودعك الله
يا هرم بن حيان والسلام عليك لا أراك بعد اليوم تطلبني ولا تسأل عني
أذكرني أذكرك وادع لي أدعوك إن شاء الله تعالى انطلق ههنا حتى

أنطلق أنا ههنا فطلبت أن أمشي معه ساعة فأبى علي وفارقني يبكي وأبكي ثم دخل بعض السكك فكم طلبته وسألت عنه فما وجدت أحداً يخبرني عنه بشيء . حدثنا بهذه الحكاية أحمد الشاهد عن محمد بن عبد الله بن محمد بن جعفر عن محمد بن العباس بن أيوب عن يحيى بن محمد بن السكن عن يحيى بن كثير عن الهيثم بن حرموز عن حمران عن سلمان التيمي عن أسلم العجلي عن أبي الضحاك الجرمي عن هرم بن حيان . فهذا يا نفس من بعض أخبار أويس الذي أحببته لله وفي الله ولولا التطويل لاشبعناك من أخباره وأخبار أمثاله من سادات التابعين (رضي الله عنهم أجمعين) ولكنك قنعت بهذا القدر فالتزمي طاعة الله وطاعة رسوله فأسلمت إسلاماً جديداً الله يشبها عليه وأخذت منها العهود التي أخذ النبي (ص) على نساء المؤمنات فالتزمت ذلك كله عارفة قدر ذلك وما لها في الوفاء به وغدره فهذا يا ولي أبقاك الله ما أتفق بيني وبين نفسي بمكة المشرفة (حرسها الله تعالى) ثم أرجع مع ولي وصفي وأخي في الله تعالى أبي محمد (وفقنا الله وإياه) وأقول أما بعد يا أخي فإن أكثر الناس خافوا الله على سيئات الناس وذنوبهم وأوزارهم وآمنوا على ذنوبهم وليس هذا فعل الرجل الحازم والله تعالى يقول : ﴿قاتلوا الذين يلونكم من الكفار﴾ وأقرب عدوك وأعداه عليك نفسك التي بين جنبيك فيها شغل شاغل للعاقل وهذا الزمان الذي أنت فيه زمان شر قلت فيه لقمة الحلال وكثر الشره والكلب في قلوب الناس فلا بطن تشبع ولا نفس تقنع ولا عين تدمع ولا دعاء يسمع فلما قل الحلال لو وقع التعفف من المرید وأخذ الغذاء عند الاضطراب لكان بعض شيء يكفيه وأبشرك يا ولي (رضي الله عنه) إني جربت إخواني في هذا الطعام من باب المغرب إلى باب مكة فما دخل في بطني أخلص من طعامك كنت أجده ما لا يمكن وصفه وذلك لطيب النفوس وعدم تعلق خاطرك به إلا في وقت ما تعرفه أنت وابن المرابط وتعرف سببه وهذا أعجب ما تسمع في هذا الباب وله أصل

يستند إليه في اللحم الذي تصدق به على بريرة وهو حرام على النبي (ص) فلما أهدت منه للنبي (ص) أكله حلالاً محضاً وقال هو عليها صدقة ولنا هدية فألق بالك يا ولي وأحضر ذهنك في هذه المسألة فإنها لطيفة وقد قصدتك بها متحفاً فإنها من أعظم التحف لأنها تعطيك من أسرار وضع الشرع من عند الله في عبيده علماً كثيراً ولقد لقينا من المشايخ والإخوان والنساء ما لو دونت أحوالهم وسطرت كما سطرت أحوال من تقدم لرأيت الحال الحال والعين العين في الأعمال والجد والإشارات وصحة القصد فيا ولي تعال نقم مأتماً للفراق ونندب إخواننا الظاعنين وأنا أنشد لك من بعض أحوال من لقيت فمنهم وهو أول من لقيته في طريق الله أبو جعفر العريني (رضي الله عنه) وصل إلينا إلى أشبيلية في أول دخولي إلى معرفة هذه الطريقة الشريفة فكنت أول من سارع إليه فدخلت عليه فوجدت شخصاً مشتهراً بالذكر فتسميت له وعرف حاجتي منه فقال لي عزمت على طريق الله تعالى فقلت له أما العبد فعازم والمثبت الله فقال لي سد الباب واقطع الأسباب وجالس الرهاب يكلمك الله من دون حجاب فعملت عليها حتى فتح لي وكان بدوياً أمياً لا يكتب ولا يحسب وكان إذا تكلم في علم التوحيد فحسبك أن تسمع . كان يقيد الخواطر بهمته ويصدع الجود بكلمته لا تجده أبداً إلا ذاكرة على طهارة مستقبل القبلة أكثر دهره صائماً أسرته الفرنج وكان قد أعلم بذلك وقال لأهل القفل غداً يؤخذ الكل أسرى فصباحهم العدو فأخذهم عن آخرهم فأكرم مشواه ونظفت له دار حسنة وخدم بها ثم تقاطع مع العليج الذي كان عنده على خمسمائة دينار فجاء عندنا فقيل له نجمع لك من شخصين أو ثلاثة فقال لا إنما أريدها من أشخاص كثيرة لو قدرت أن أخذها من كل إنسان ذرة فعلت فإن الله تعالى أخبرني أن كل نسمة وزنت فيها شيئاً عتقت من النار فاستغنم الخير لأمة محمد (ص) . ومن أخباره أنه قيل له وهو بإشبيلية عندنا إن أهل قصر كتامة يحتاجون إلى المطر فسر إليهم فاستسق لهم لعل الله

أن يسقيهم فخرج لذلك وخرج معه خادمه محمد وبيننا وبينهم البحر
ومسيرة ثمانية أيام فقال له بعض أصحابه أدع الله لهم من هنا قال
أمرت بالخروج إليهم ، فخرج من عندنا فلما وصل قصر كتامة وأشرف
عليه منع من دخوله فاستسقى لهم وهم لا يشعرون فسقاهم الله في
الحين فرجع من ذلك الموضع ولم يدخل البلد حتى وصل إلينا فقال
لنا محمد خادمه الذي مشى معه لما سقاهم الله ونزلت الأمطار كان
الغيث ينزل عن يميننا ويسارنا وأمامنا وخلفنا ونحن نمشي لا يصيبنا منه
شيء فقلت للشيخ عز علي حيث لم تصبك رحمة الله عز وجل فصاح
وقال فزت بها يا محمد يا حسرة لو تذكرتها هناك . ودخل عليه رجل
ومعه ابنه وأنا إلى جانبه جالس فسلم عليه وقال لابنه سلم عليه وكان
الشيخ قد ذهب بصره فقال له الرجل يا سيدي إن ابني هذا من حملة
القرآن يحفظه فتغير الشيخ وصار وطراً عليه حال وقال القديم يحمل
المحدث القرآن يحمل ابنك ويحملنا ويحفظ ابنك ويحفظنا فهذا كان
من حضوره (رضي الله عنه) وكان قوياً في دين الله لا تأخذه في الله لومة
لأثم كنت إذا دخلت عليه يقول مرحباً بالابن البار كل ولدي نافق علي
وجحد نعمتي إلا أنت فإنك مقربها معترف لا أنساها الله لك سألته ما
اتفق له مع الله تعالى في أول بدايته فقال كان قوت أهلي في السنة
ثمانية أعدل تينا والعدل مائة رطل فلما جلست مع الله في الخلوة
صاحت علي المرأة وسبتني وقالت لي قم وأخدم وسق ما يقوم بأولادك
لعامهم فشوشت علي خاطري فقلت يا رب هذه تحول بيني وبينك ولا
تزال تتعيني فإن كنت تريد لي مجالستك فأرحني من همها وأن كنت لا
تريدني فعرفني قال فناداني الحق في سري يا أحمد أجلس معنا ولا
تبرح فما يذهب النهار حتى نأتيك بعشرين عدلاً تيناً قوت عامين فلم
تكن إلا ساعة وإذا بصارخ وعلى عنقه عدل من تين هدية فقال لي
الحق هذا واحد من عشرين فما غربت الشمس حتى أكمل عندي
عشرين عدلاً فسرت المرأة والأطفال وشكرتني المرأة ورضيت عني .

وكان (رضي الله عنه) كثير التفكير مبسوطاً مع الحق في عموم أحواله .
 دخلت عليه آخر زورة رأيته فيها (رحمه الله تعالى) ومعي جماعة فوجدناه
 قاعداً فسلمنا عليه وقد أراد بعض الجماعة أن يسأله فإذا به (رضي الله
 عنه) قد رفع رأسه وقال خذوا مسألة وقد رأيته بها يا أبا بكر وأشار إلي
 لم أزل أتعجب من قول أبي العباس بن العريف حتى يفني من لم يكن
 ويبقى من لم يزل ونحن نعلم أن من لم يكن فانياً ومن لم يزل باقياً
 فإيش قال أجيبوا ؟ فلم يكن في الجماعة من أجابه فعرض علي
 الجواب فحضرته نفسي بعثوري على وجه المسألة دونهم فلم أتكلم
 فلاني كنت شديد القهر لنفسي في الكلام وعرف مني الشيخ ذلك فلم
 يعد علي . وكان (رضي الله عنه) لا يتجرد لنوم في ثوب ولا يهتز في
 سماع فإذا سمع القرآن تقصف وتصدعت أركانه وصليت معه الصبح
 في دار وليي وصفي أبي عبد الله الخياط المعروف بالعصاد وأخيه أبي
 العباس أحمد الحريري فقرأ الإمام عم يتساءلون فلما وصل إلى قوله
 تعالى : ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مَهَاداً وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً ﴾ غبت عن قراءة
 الإمام وما سمعت شيئاً ورأيت شيخنا أبا جعفر المذكور وهو يقول
 المهاد العالم والأوتاد المؤمنون المهاد المؤمنون والأوتاد العارفون
 والمهاد العارفون والأوتاد النبيون ، والمهاد النبيون ، والأوتاد المرسلون
 فرددت إلي والإمام يقرأ وقال صواباً ذلك اليوم الحق فلما فرغنا من
 الصلاة سأله فوجدته قد خطر له في تلك الآية ما شهدته واضجعه
 إنسان ليذبحه والسكين في يده والشيخ يمد له عنقه وهم به أصحابه
 ليأخذوه فقال أتركوه يفعل ما يؤمر به فكان يأخذ السكين ليمر به على
 حلقومه فيحوله الله في يده حتى رمي به وترامى بين يديه تائباً ولولا
 التطويل لأظهرنا من أمره وأمر غيره ممن لم نذكره عجائب من إشاراته
 وما وقع بيننا وبينه من المسائل الإلهية في المواقف وغيرها ولنا فيه
 أبيات لا نذكرها الآن . ومنهم (رضي الله عنهم) شيخنا وإمامنا أبو
 يعقوب يوسف بن يخلف الكومي العبسي (رضي الله عنه) صاحب أبا مدين

(رضي الله عنه) ولقي رجالاً بهذه البلاد سكن ديار مصر مدة وتأهل بمدينة إسكندرية رغب في مصاهرة أبي طاهر السلفي عرضت عليه ولاية فاس فأبى . له في الطريق قدم راسخة كان أبو مدين (رضي الله عنه) لسان هذه الطريقة ومحبيها ببلاد المغرب يقول في هذا أبو يعقوب هو مثل موسى القوي للسفينة كان كثير الأوراد يخفي صدقته يكرم الفقير ويذل الغني ويسارع في قضاء حاجة الفقير بنفسه دخلت تحت أمره فربى وأدب فنعم المؤدب ونعم المربي رواه صاحبنا بدر الحبشي وبات عنده . سمعته يقول إذا شاء الشيخ أخذ بيد المريد من أسفل سافلين وألقاه في عليين في لحظة واحدة كان كبير الهمة الغالب عليه طريق الملامتية . قط ما تلقاه إلا مقطب الوجه وإذا أبصر فقيراً تبرق أسارير وجهه رأته يدني الفقير من نفسه حتى يجلسه على فخذه يخدم أصحابه بنفسه رأته في النوم وقد انشق صدره وفيه مصباح يضيء كأنه الشمس يقول يا محمد هات فأتيته بحقين أبيضين كبيرين فتقياً فيهما لبناً حتى ملأهما ثم قال أشرب فشربت . جل ما أنا فيه من بركته وبركة أبي محمد المروزي وسأتي ذكره إن شاء الله تعالى أول مسألة ألقاها علي في أول ساعة رأته فيها وقد أقبل علي بكليته أن قال ما الذنب الذي يأتيه المار بين يدي المصلي حتى يود أن يقف أربعين خريفاً فأجبتة على ذلك على حد ما وقع لي فسر بذلك فكنت إذا قعدت بين يديه وبين يدي غيره من شيوخنا أرعد مثل الورقة في يوم الريح الشديد ويتغير نطقي وتتخدر جوارحي حتى يعرف ذلك في حالي فيؤنسني ويطمع أن يياسطني فلا يزيدني ذلك إلا مهابة وإجلالاً كان (رضي الله عنه) يحبني ولا يظهر ذلك لي ويقرب غيري ويطردني ويصوب كلام غيري ويوبخني في المحافل والمجالس ويشتمني حتى كان أصحابي الذين معي ينسبونني إلى قلة الهمة وهم معي تحت نظره وخدمته فما برع من تلك الجماعة غيري والله الحمد . وكان الشيخ (رضي الله عنه) يقول ذلك . ومما شاهدته منه (رضي الله عنه) ولم أكن

قط رأيت رسالة القشيري ولا غيرها ولا كنت أدري لفظة التصوف على ماذا تنطلق فركب يوماً فرسه وأمرني وآخر من أصحابه أن نخرج إلى المتيار - وهو جبل عال على فرسخ من إشبيلية - فخرجت أنا وصاحبي عند فتح باب المدينة وفي يد صاحبي رسالة القشيري وأنا لا أعرف ما القشيري ولا رسالته ، فصعدنا الجبل فوجدناه سبقنا وعلامة ممسك فرسه فدخلنا مسجداً في أعلى ذلك الجبل فصلينا واستدبرنا القبلة وأعطانني الرسالة وقال لي اقرأ فلم أقدر أن أضم كلمة إلى أخرى والكتاب يسقط من يدي من الهيبة فقال لصاحبي اقرأ فأخذه صاحبي وقرأه وتكلم عليه الشيخ فلم نزل كذلك حتى صلينا العصر فقال الشيخ ننزل إلى المدينة فركب فرسه وألزمت يدي ركابه فجعل يحدثني بفضائل الشيخ أبي مدين وكراماته (رضي الله عنه) وأنا قد فنيت في كلامه فلا أحس بنفسي وأرفع إليه وجهي في أكثر الأوقات فأراه ينظر إلي ويبتسم ويهمز فرسه فيسرع وأسرع معه ثم وقف وقال لي أنظر ما تركت خلفك فنظرت فرأيت الطريق الذي مشيت كله شوكاً يصل إلى معقد الأزار وشوكاً آخر منبسطاً في الأرض قال أنظر إلى قدميك فنظرت إلى قدمي فلم أر بهما أثراً قال أنظر إلى ثوبك فلم أر أثراً قال هذا من بركة ذكرنا أبا مدين (رضي الله عنه) ألزم الطريق يا بني تفلح وهمز فرسه وتركني .

أخذت منه مسائل كثيرة ورأيت عنده ما لم أر من غيره إذا أعطى المجاهدة للمريد يعملها معه وكذلك للاثنيين والثلاثة يعمل مع هذا ومع هذا فتراه لا يفتر . قعدت معه بعد العصر فرآني أتعلق للخروج فقال لي ما شأنك فقلت له علي أربع حوائج أريد أن أقضيها ولي أيام أروم قضاءها وأتعمل فيها ولا أجد الأشخاص الذين الحوائج بأيديهم فتبسم وقال إن تركتني ومشيت ما تنقضي لك منها حاجة فاقعد معي أذكر لك من أحوال أبي مدين (رضي الله عنه) وأنا أضمن قضاءها فقعدت فلما حان وقت المغرب قال لي أخرج الساعة إلى منزلك فإنك لا تصلي

المغرب حتى تنقضي الحوائج كلها فخرجت والشمس قد غربت
فوصلت إلى منزلي ومؤذن المغرب يؤذن فوالله ما أحرمت بالصلاة
للمغرب حتى انقضت حوائجي . وكان من صدقي في صحبته أنني
اتمناه في بيتي لمسألة تخطر فأراه أمامي فاسأله ويجيبني ثم ينصرف
فأخبره بذلك بكرة ويتفق لي معه هذا بالنهار في منزلي إن اشتهيته .
ومناقبه وكراماته وإشاراته أكثر من أن تحصى ، فلنضرب عنها في
الرسالة صفحاً .

ومن شعري فيه حين فارقت وأنا متوجه إلى مراکش وهو بـ «سيلي
قاطن» .

إذا قيل من في الوجود أشرف	يوسف بن يخلف
ربّ المعالي قلب المعاني	أبق شخص قلباً والطف
أكرم من في الوجود كفا	أعظمهم رأفة وأعطف
أثبتهم في النزال جأشاً	أشدهم سطوة وأعنف
أكبرهم همة وحالاً	أشدهم للعلا واكشف
أوسعهم في العلوم باعاً	أشرحهم باطناً واعرف
أكملهم نسبة ونعتاً	أرفعهم نصبة وأشرف
أولهم في العلا ذراعاً	أعلاهم غاية واوقف
الطفهم في القلوب معنى	أوصلهم حكمة وأوصف
قد يكسف البدر في علاه	وبدر مولاي ليس يكسف

والقصيدة طويلة أودعتها كتاب «إنزال العيوب على مراتب القلوب»
فيما لنا في هذه الطريقة من نظم ونثر خاصة أفادني شيخنا هذا مسألة
الوصال وأنا سيد ولد آدم وآدم ومن دونه تحت لوائي والتدبير نصف
العيش وإذا أحب الله عبداً ابتلاه وقلب القرآن يس ولم يسبقه أحد إلى
هذه المسألة في بلادنا وغير ذلك مما لا أتذكره الآن (فرضي الله عنه
وأرضاه) . ومنهم (رضي الله عنهم) صالح العدوي (رضي الله عنه) كان بالله

عارفاً ومع الله في كل حالة واقعاً تالياً لكتاب الله العزيز آناء الليل وأطراف النهار ولم يتخذ مسكناً قط ولا تداوي قط كان يعمل على مقام السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب كان لا يكلم أحداً يجالسه يأتي عليه أوقات يدخل في صلاة النضحى فلا يزال واقفاً في الركعة الأولى حتى يُقال له قد زالت الشمس كان إذا قام للصلاة في اليوم الشديد البرد يلقي عنه ثيابه حتى يبقى في قميص واحد وسروال وهو يتصبب عرقاً كأنما هو في ديماس له في صلاته زئير وهممة لا يفقه ما يقول لا يدخر شيئاً لغد ألبة ولا يقبل ما لا يحتاج إليه لا لنفسه ولا لغيره كان يأوي ليلة إلى مسجد أبي عامر المقدسي صاحبه سنين لا أكاد أعد كلامه معي من قلته كان في بعض السنين يفقد من البلد إذا قرب عيد الأضحى فأخبرني فقيه شاهد من شهود البلد أنه يحضر الموسم بعرفات أخبره بذلك من شاهده كان له بنا تعلق وإلى جهتنا تأمل انتفعنا به ، أخبرني بأمور في حقي مما يتفق لي في المستقبل فرأيتها كلها ما غادرت منها كلمة خدمة أبو علي الشكاز لم يزل بإشبيلية على هذه الحالة أربعين سنة حتى مات فغسلناه ليلاً وحملناه على رقابنا إلى مقبرته وتركناه وانفصلنا عنه حتى صلى عليه ودفنه الناس لم أر بعده على حاله مثله كانت حالته تشبه حالة أويس ، وله أخبار كثيرة يطول ذكرها .

ومنهم (رضي الله عنهم) أبو عبد الله محمد الشرقي (رضي الله عنه) كان يلزم الصلوات الخمس بجامع العديس بإشبيلية تورمت قدماه من طول القيام كان إذا وقف في الصلوات تتحدر دموعه على بياض لحيته كأنها اللؤلؤ سكن موضعاً نحو أربعين سنة ما أوقد فيه سراجاً ولا ناراً بالغ في العبادة جهده لقيني يوماً وأنا واقف على معتوه عندنا من جملة الناس فلم أشعر به حتى أخذ بإذني وأخرجني من الحلقة وقال لي أنت تفعل هذا فخرجت ودخلت معه الجامع كان يخبرني بالشيء قبل كونه فيكون كما يخبرني لم يتخذ قط في المسجد موضعاً معيناً ولا صلى

قط في موضع واحد من المسجد صلاتين لا يتجراً أحد عليه أن يقول له أدع لي فالذي يريد أن ينتفع بدعائه يراقبه إذا دخل المسجد أن يصلي فيه فيحرم بالصلاة إلى جانبه فإذا جلس يدعو صاحب الحاجة بما يريده ويعلن فيقول الشيخ أمين خاصة هكذا كانت دعوته وسألته أنا في الدعاء فدعا لي وقد بداني بالدعاء الحمد لله وكلمني قبل أن أكلمه فإني كنت أهابه وأنتفع به وعانيت من بركاته أنه لما اقترب موتي أخلى مسكنه وقال أريد سفراً فخرج إلى القرية التي كان منها في الشرق على فرسخين كلما وصل إليها مات بها (رحمه الله تعالى) ونظر يوماً إلى غلام صغير على رأسه مكتل فيه رازيانج ورآه متحيراً فأشفق عليه واستدعاه والناس يرونه فقال ما شأنك يا ولدي قال يا عم مات أبي وترك أولاداً صغيراً وليس لنا شيء فاصبحنا يوماً هذا وليس عندنا ما نأكل وكان عند والدتي هذا الرازيانج فقالت يا ولدي خذه وبعه وسق لنا به قوت اليوم إن كفى فبكى الشيخ وأدخل يده في المكتل وأخذ منه حبات وقال هذا شيء طيب يا صبي قل لأهلك عمي الشرقي أخذ منه قليلاً فجعلني منه في حل فأخذ بعض التجار المكتل وقال شيء أخذ منه هذا الشيخ حلت فيه البركة فمشى إلى أم الصبي ودفع لها في المكتل سبعين ديناراً مؤمنة ، وإنما قصد الشيخ هذا رحمة بهم (رضي الله عنه) .

ومنهم (رضي الله عنهم) أبو يحيى الصنهاجي (رضي الله عنه) كان قد عمي وقد أسن عاشرته فرأيته مجتهداً في العبادة وله قدم راسخة في الرياضات والإشارات كبير الشأن ما رأيته قط يقعد إلا على كرسي صغير مات عندنا بإشبيلية (رحمه الله) وظهرت له كرامات بعد موته فإن الجبل الذي دفناه فيه عال لا يخلو من الريح أبداً فسكن الله الريح في ذلك اليوم واستبشر الناس وباتوا على قبره يقرءون القرآن فلما نزل الناس هبت الريح على عاداتها . كانت صحبتي إياه شهوراً قبل موته كان من أهل السياحات ملازماً للسواحل مؤثراً للمخلق (رضي الله عنه) .

ومنهم (رضي الله عنهم) أبو الحجاج يوسف السبريلي - قرية

بالشرق على فرسخين من إشبيلية - كان أكثر إقامته بالبادية صحب أبا عبد الله بن المجاهد كان يعيش من عمل يده ، دخل الطريق قبل الحلم ولم يزل عليها حتى مات ، كان ابن المجاهد إمام هذه الطريقة ببلادنا يقول التمسوا الدعاء من أبي الحجاج السبريلي وكان يكبره إذا زاره أخبرني أبو الحجاج هذا بنفسه قال كانت زيارتي لابن المجاهد شيخنا كل يوم جمعة فزرتة في يوم جمعة على عادتي فوجدته واقفاً على البنائين بحائط داره التي يسكن بها وكان قد تهدم فبناه ليستريحه فسلمت عليه فقال خالفت عادتك يا أبا الحجاج فقلت له بل هو يوم الجمعة فضرب يداً على يد وصاح أواه هذا ما فعل الضروري الذي لا بد منه فكيف لو زدنا وناح وبكى على نفسه وتحسر على وقته وكان أبو الحجاج متى ذكر لي هذه الحكاية يبكي ويقول هكذا تكون الرجال سيكون على قوات حظوظهم من الحضور مع الله ، كان شيخنا هذا أبو الحجاج كبير الشأن لم يزل يأكل من عمل يده حتى ضعف عن العمل فصار يأكل من الفتح وكان لما اسن وثقل عن الحركة يبكي ويقول يا بني فتح الله على باب قصد الناس إلي وزيارتهم وعرض بي للفتن ومن أنا ويا ليتني سلمت ووددت أن أجد قوة حتى أزور الناس في ديارهم ولا يجيئون إلي وكان رحمة للعالم وكان إذا دخل عليه عمال سلطان يقول لي يا بني هؤلاء هم أعوان الحق المشتغلون بأسباب العالم ينبغي للناس أن يتفرغوا للدعاء له أن يجري الله الحق على أيديهم ويعينهم وكان يقبل من السلطان ، ما دخل عليه أحد قط وفي بيته مأكول إلا جعله أمام الداخلين كثروا أو قلوا وكثر الطعام أو قل لا يترك شيئاً يكون له ألبته ودخل عليه جماعة فقال لي يا بني أنزل لهم الممثل فأنزلته فلم أجد فيه غير ملىء الكف حمصاً فجعلته بين أيديهم . رأيت له بركات كثيرة كان ممن يمشي على الماء وكان له بداره بالقرية بئر يستقي منها لوضوئه فرأينا بجانب البئر شجرة زيتون قد جلت وأورقت وحملت جسمها غليظ فقال له صاحبي يا سيدنا لم غرست هذه الزيتون في هذا

الموضع وضيق بها على البئر فالتفت إلينا ونظر وكان قد انحنى ظهره من الكبر فقال في هذه الدار ربيت من صغري ووالله ما رأيت قط هذه الزيتونة إلا الآن فكان بهذه المثابة من الاشتغال بقلبه ما دخلت قط عليه ولا غيري إلا وجدته قارئاً في المصحف لم يمسك كتاباً غير المصحف حتى مات وكان له هرة سوداء لا يستطيع أحد أن يمسكها ولا يلقي يده عليها وكانت ترقد في حجره وكان يقول لي لهذه الهرة تميز لأولياء الله فهذا العذار الذي ترى فيها ما هو سدى قد جعلها الله تأنس بالأولياء فشاهدتها مراراً عنده فيدخل إنسان فتحك خدها في رجله وتتعلق به ويدخل آخراً فتفر منه ولقد دخل عليه شيخنا أول مرة دخل عليه - يعني أبا جعفر العريني (رحمه الله تعالى) الذي ذكرته أولاً - وكانت الهرة في البيت الآخر فخرجت من البيت ونظرت إلى شيخنا أبي جعفر وفتحت يديها على عنقه فعانقته ومرغت وجهها على لحيته فقام إليه أبو الحجاج حتى أجلسه ولم يقل شيئاً فأخبرني أبو الحجاج أن ذلك الفعل ما رأيته قط فعلته مع غيره ولم تزل عنده حتى خرج من عنده وجاءه رجل وأنا عنده في جماعة وفي عينيه وجع شديد يصيح منه مثل النفساء فدخل عليه وقد شق على الناس صياحه فاصفر وجه الشيخ وقعد وقلع يده المباركة ووضعها على عينيه فسكن الوجع من جبينه واضطجع الشخص كأنه الميت ثم قام وخرج مع الجماعة وما به من بأس وكان له صاحب من صالح مؤمني الجن أبداً لا يرح من عنده دخلت عليه مع شيخنا أبي محمد (رضي الله عنهما) فقلت يا سيدنا هذا من أصحاب أبي مدين فتبسم الشيخ وقال عجب أمس كان عندنا أبو مدين (رضي الله عنه) نعم الشيخ وأبو مدين إذ ذاك ببجاية وبينهما مسيرة خمسة وأربعين يوماً فكان كشفاً بينهما وكانت هذه الحالة كثيراً تتفق لي مع أبي يعقوب فإن أبا مدين كان قد سكن عن الحركة واحفظ من أخباره ما شاهدته كثيراً تضيق هذه العجالة عنه ، وهكذا كل من أذكره وإنما أذكره ليعلم أن الزمان لا يخلو من الرجال .

ومنه (رضي الله عنهم) أبو عبد الله محمد بن قسوم (رضي الله عنه) صاحب ابن المجاهد وقرأ عليه حتى مات واستخلفه في موضعه فجرى على حالته وزاد فجمع بين العلم والعمل مالكي المذهب قائلاً بشرف العلم ومرتبته صحبتته وقرأت عليه ما يصلح لي في طهارة وصلاة وسمعت عليه كان دعاؤه في خاتمة أبداً اللهم اسمعنا خيراً واطلعنا خيراً ورزقنا الله العافية وأدامها لنا وجمع الله قلوبنا على التقوى ووفقنا لما يحبه ويرضاه وخواتم البقرة وهو الدعاء الذي ألتزمنا في مجلسنا ورأيت النبي (ص) في المنام في الحرم وقارىء يقرأ عليه صحيح البخاري فلما فرغ دعا بهذا الدعاء فزدت عليه غبطة كان (رضي الله عنه) من الجدد والاجتهاد غاية وكان معتدل العبادة ألتزم وظائف عمر بها أوقاته لم يزل محافظاً عليها حتى الآن كان كل ليلة يحاسب نفسه فإذا وجد خيراً يحمد الله وإذا وجد غير ذلك يقابله بما يجب له من الاستغفار والتوبة وما جرى مجرى ذلك ، وكان يعيش من خياطة القلنسيات فقعد يوماً وقد فرغت نفقته فأخذ المقص وأسباب شغله فسمع الباب قد فتح ثم أغلق فخرج فلم يجد أحداً وقد رمي له بسة دنائير فأخذها ودخل ورمى بالمقص في البئر وقال الله يدبر عيشي وأنا أدبره واتعني فيما ضمن لي الرزق يطلبك لا أنت تطلبه ، فلزم باب الفتح وترك الحرفة إلى الآن قسم ليله ونهاره على ما أقول لك إذا صلى الصبح ذكر الله حتى تطلع الشمس فيركع ركعتين ويدخل منزله فيأخذ كتبه ويخرج إلى الطلبة فيقرءون العلم إلى ارتفاع النهار ويدخل منزله فإذا لم يكن صائماً أخذ شيئاً من الغذاء وصلى ضحاه ونام يسيراً ثم يقوم فيسبغ الوضوء فإن كان له تقييد قيده وإلا ذكر الله فإذا جاء الظهر فتح المسجد وأذن ودخل مسجده يتنفل ويذكر الله إلى وقت دخول الصلاة متمكناً يخرج إلى المسجد يقيم الصلاة لا يتنفل | يتمايل في محرابه تمايل النشوان مما يجد في باطنه من الوجد بكلام الله فإذا سلم خرج وتنفل إراتبة الظهر وأخذ المصحف ففتح على ركبته ومشى

بيديه على حروفه وعيناه في المصحف يرتل القرآن بحنان وتدبر حتى يتم خمسة أجزاء وقد حان العصر فأذن ودخل مسجده يتنفل حتى تجتمع الجماعة فيصلّي بهم ثم يدخل منزله يذكر الله حتى تجيء المغرب فيخرج يؤذن ويصلّي ويدخل فيجيء بين العشاءين حتى يجيء وقت العشاء أو قربها اسرج القنديل في المسجد وأذن ودخل منزله يتنفل حتى يجتمع الجماعة يخرج يصلّي بهم ثم يغلق باب المسجد ويدخل منزله ويحاسب نفسه في حركاته وألفاظه وجميع ما يعلم أن الملك يقيد عليه فتكون حالته على حسب ما يجده في صحيفته ثم يقوم إلى سريره فينام فإذا مضى من الليل جزء فإن كان أصاب أهله أغتسل ودخل مصلاه يترنم بالقرآن ويتلذذ به تارة في حضرة التوحيد وتارة في الجنة وتارة في الاعتبار وتارة في الأحكام بحسب ما تعطيه الآية حتى يصبح فيخرج من صلاته وقد أطلع على علوم كثيرة في تلاوته من الله تعالى لم تكن عنده فهمه الله إياها من القرآن قال الله تعالى : ﴿واتقوا الله﴾ ويعلمكم الله فإذا طلع الفجر فتح المسجد وأذن ودخل منزله فركع الفجر وقعد في منزله يذكر الله فإذا أسفر خرج فصلّي بالناس هكذا ديدنه ودأبه لا يتأدم في الجمعة إلا مرتين في ليلة الاثنين وليلة الجمعة سني الحال والمقام كثير المعرفة قل أن يرى مثله جمعت بينه وبين صاحبي عبد الله وبدر الحبشي وصلّى خلفه .

ومنهم (رضي الله عنهم) أبو عمران موسى بن عمران المارثلي ، أنشدني لنفسه في شعر مجنس يخاطب نفسه :

فأنت ابن عمران موسى المسمي ولست ابن عمران موسى الكلبيما
هو (رضي الله عنه) قد أخذ نفسه بالشدائد لزم بيته منذ ستين سنة
لا يخرج جرى على طريق الحارث بن أسد المحاسبي لا يقبل من أحد
شيئاً ولا يطلب حاجة لنفسه ولا لغيره رأيت له رؤياً تدل على انتقاله من
مقامه إلى ما هو أعلى منه فقال لي بشرتني بشرك الله بالجنة فلم يكن

إلا يسيراً ونال المقام الذي رأيت له فدخلت عليه اليوم الذي حصل فيه
والسرور باد على وجهه فقام إلي وعانقني فقلت له هذا تأويل رؤيائي
من قبل وبقيت دعوتك أن يبشرني الله بالجنة فقال يكون إن شاء الله
تعالى فما تم الشهر حتى بشرني الله بالجنة بإيجاد آية منه ظهرت لي
مصدقة لدعوى المبشر عن الله تحدى بها على صدق بشرائه لي بالجنة
فأنا أقطع بها ولا أشك ألبتة في أنني من أهل الجنة كما أنه لا شك في
نبوة محمد (ص) غير أنه لا أدري أتمسني النار أم لا عافانا الله وإياكم
وأرجو من كرمه أن لا يفعل . ولهذا الشيخ شأن كبير ومعرفة تامة وأدب
عظيم مقبوض في عموم أحواله حسن البشاشة لزواره لنا معه مواطن
عجيبة كانت همته متعلقة بالله في حفظنا وعصمتنا من الفتن والرجوع
فقضي حاجته في ذلك وشهد لي بها وبشرني وقال لي منه إلي بمحضر
صاحبي عبد الله بدر الحبشي كنت أتخوف عليك جداً لصغر سنك
وعدم المعنى وفساد الزمان وما ظهر لي في أهل الطريقة من الفساد
وهم الذين ألزموني العزلة لما عاينت من فساد الأحوال ، فالحمد لله
الذي أقر عيني بك . . . أنشدني من شعره كثيراً وطلب مني أن أقيده
من شعري ففعلت وقرأته عليه فسر به .

فمما كتبت له أبياتاً أستحسنها جداً ووقعت منه بموقع ، فكان

منها :

تركت هواي في هواه فلا هوى	وكل محب لم يكنه فقد هوى
واجريت طرف الأنس في حلية الفنا	وجزت بحار الشوق في مركب الهوى
وألقيت موسى الوصل في ساحل الرضا	وناداني الحق المبين من الهوى
إلا فأكتبوا عبدي من العارفين بي	وهذا ندا الحق في موضع السوى
فراجعته لما سمعت نداءه	بان ليس لي هم ولا بغية سوى
وصالك يا مولى ألوذ بقربه	فإني أخاف من سطوة البين والنوى
فأمني من كل شيء وقال لي	ظنونك حسني : إن للمرء مانوى

ولا أذكر من القصيدة اليوم إلا هذا وخرجت عني منها أبيات
ذكرتها في كتاب «إنزال الغيوب» ومن ذلك أيضاً :

مذ حل كاتب حب الله في خلدي	وخط سطرأً من الأشواق في كبدي
ذبت اشتياقاً ووجدأً في محبته	فأه من طول وجدي آه من كمدي
يا غاية السؤل والمأمول يا سندي	شوقي إليك شديد لا إلى أحد
يدي وضعت على قلبي مخافة أن	يشق صدري لما خانني جلدي
ما زال يرفعها طورا ويخفضها	حتى جعلت يدي الأخرى تشد يدي
مر الفؤاد عن الجثمان مرتحلاً	إلى الحبيب الذي يغني وليس يدي
ما زلت أطلبه وجدأً وأند به	بعبرة حيزتها زفرة الخلد
حتى سمعت نداء الحق من قلبي	من كان عندي لا ينظر إلى أحد
فمت بوجدك أو مت إن تشأ طرباً	فإن قلبك لا يلوي على الجسد
فقلت والحب يطويني وينشرني	وصحت من شدة الأشواق : واكبدي
لما شاهدتك يا من لا شبيه له	لا فرق عندي بين الفرد والعدد

إلى آخر الأبيات ، فإني لا أذكرها الآن . دخلت على هذا
الشيخ فقال يا بني عليك بنفسك فقلت له إن شيخنا أحمد دخلت عليه
فقال لي يا بني عليك بالله ، فمن أسمع ؟ فقال يا بني أنا مع نفسي
وأحمد مع ربه وكل واحد منا ذلك على ما يقتضيه حاله فبارك الله لأبي
العباس وأوصلني إليه فهذا ما عاينت من إنصافه . كان يباسطني غاية
البسط فلا يزيدني ذلك إلا مهابة وتعظيماً وكان يتعجب من حفظي
الأدب معه في حين بسطه فيرجع من المباشطة إلى باب العبودية فحين
أباسطه لسر عجب أن تأملته يا ولي وقفت عليه .

ومنهم (رضي الله عنهم) الأخوان الشقيقان أبو عبد الله محمد
الخياط وأبو العباس أحمد الاشبيليني (رضي الله عنهما) صاحبتهما زماناً
باشبيلية إلى عام تسعين وخمسائة خرجا يريدان الحج وهو العام الذي
رحلت فيه إليك ووصلا مكة فأما أحمد فجاور بها سنة وخرج إلى مصر

ودخل طريق الملامتية وأما محمد فجاور بها خمسة أعوام ولحق بأخيه
بمصر فأقامت معهما وتابى عبد الله زمانه فصمت معهما رمضان وخرجت
إلى القدس الشريف ومشيت إلى مكة (شرفها الله تعالى) وأقامت بها إلى
الآن وفي قلبي من فراقهما لهيب أما أبو عبد الله فإنه رجع إلى الطريق
قبل أخيه بزمان طويل وكانت له والدته وكان باراً بها (رضي الله عنه) لزم
خدمتها حتى ماتت غلب عليه الخوف حتى إذا صلى يسمع لقلبه دوي
على بعد سريع الدمعة غزيرها طويل الصمت دائم الحزن كثير الفكرة
شديد التأوه ما رأيت قط أخشع منه لا تراه أبداً إلا مطرقاً ضارباً بعينه
الأرض لا يمازح أحداً ولا يعاشره بريء من المداهنة قوي في
المناصحة لا يستحي في الحق من أحد ولا تأخذه في الله لومة لائم لا
يداري ولا يمار ، ابتلي بالفقر والضراء فصبر له شأن عجيب وهمة
رفيعة كنت أتعشق به وأنا صغير وكان إذا دخل المسجد هابه كل من
رآه ما عاينته قط يكلم أحداً مبتدئاً ولا يجيب إذ تكلم إلا في ضرورة
يحفظ دينه حفظاً ما تمنيت من كل من ريت أن أكون مثله إلا هو ،
وأخيته لما رجعت إلى هذه الطريقة وفرح بي ولازمته وانتفعت بأدابه
وأخذت من خلقه ، كان يحتمل الأذى ويكف جفاء صدوق الرؤيا كثير
النجوى ليله قائم ونهاره صائم لا تجده فارغاً قط يحب العلم وأهله كنا
قد اجتمعنا أربعة أنا وهو وأخوه ورابع لنا على السواء في كل ما يفتح
به علينا ، فلم أر أياماً قط في عمري أحسن من تلك الأيام رأيت من
همته (رضي الله عنه) إن كان بين منزلي ومنزلهم بعد كثير فأذن بالعتمة
وقد وجدت في خاطري الإنزعاج إلى الوصول إليه والرجوع إلى
منزلي : الأمران معاً ، فحرت كيف أجمع بين الخاطرين وكنت أعمل
على أول الخاطر فاشتدت إليه عدواً إلى أن دخلت عليه فوجدته واقفاً
في وسط الدار وهو مستقبل القبلة وأخوه أحمد يتنفل فسلمت عليه
فتبسم وقال لي ما الذي أبطأ بك قلبي متعلق بك عندك شيء وكان في
جيبتي خمسة دراهم فدفعتها له فقال جاءت فقير يُقال له علي السلاوي

وما عندنا شيء ورجعت اشتدت إلى موضعي . كان يخدم الفقراء بنفسه ويؤثرهم بالطعام واللباس وكان رحيماً عطوفاً رؤوفاً شقيقاً يرحم الصغير ويعرف شرف الكبير يعطي كل أحد حقه له الحق على الناس وليس لأحد عليه حق إلا الله ، على هذا فارقتة وعلى هذا وجدته الآن وعليه تركته فالله يجمع بيني وبينه في عافية .

وأما أخوه أبو العباس أحمد وما أدراك ما أحمد فجمع الفضائل واجتنب الرذائل عرف الحق فلزمه وكشف له عن السر فكتمه هو ممن ينادي من وراء حجاب قوي المجاهدة كثير المساعدة وطيء الأخلاق حسن المعاشرة سمح الخليفة موافق فيما يرضي الله مخالف لما لم يرض الله لزم الاسم فسمما وعمر ذكره كل أرض وسمما ، تراه كأنه ذاهل سريع الحركة كأنه مطلوب بشار يخضع تحت وارد الأسرار كثير المكاشفة كنا إذا أخذنا في مسألة يغيب عنا ثم يرجع فيخبرنا بسوجه من وجوه ما نحن فيه ، هذا الحال له مستمر إلى الآن لزم خدمة أخيه لم يخدم غيره فكل ما هو فيه من بركة أخيه لقي شيخنا العريني وأبا عبد الله بن جنيد وجماعة من أصحابنا أراد صحبتنا إلى مكة لولا مرض أخيه ، ولو كان صحيحاً رحلنا بجملتنا حلت بمصر المسغبة والوباء الذي هلك فيه أهلها فمشي يوماً فرأى الأطفال الصغار الرضع يموتون جوعاً فقال يا رب ما هذا فنودي يا عبدي هل ضيعتك قط قلت لا قال فلا تعترض هؤلاء الأطفال الذين رأيتهم أولاد الزنا ، وهؤلاء هم قوم عطلوا حدودي فأقمت عليهم حدودي فلا يكن في نفسك من ذلك . ثم سري عنه فبقي راضياً بتلك الحالة للخلق وعنده من هذه المخاطبات كثير وأما الإيثار وتوسيعهما على الخلق وتضييقهما على أنفسهما فلا أحد فوقهما في ذلك ، جمع الله بيني وبينهما في عافية ولا فرق بيني وبينهما بعد ذلك .

ومنهم (رضي الله عنهم) أبو عبد الله محمد بن جمهور (رضي الله عنه) كان من أقران أبي علي الشكاز وأبي عبد الله الخياط الذي ذكرناه

في السن والحال وكان مجتهداً في العبادة وكان يقرأ القرآن والعربية لم يقرأ شعراً قط أخبرني أبو الحسن العثماني قال كنت وأنا صغير أقرأ القرآن عليه فسمع دفاً يضرب فجعل أصابعه في أذنيه فسكت فبعد ساعة ثم قال لي هداً هدأ الدف أم لا فقلت لا فلما استمر ذلك قام وأصابعه قد سد بها أذنيه وانصرف إلى داره وأرسل إلي فجئت إليه ودخلت عليه وأتممت عليه جزئي . كان (رحمه الله تعالى) إذا سمع من يقرأ عشراً في المسجد ليسأل به أو يسمع سائلاً في المسجد يسد أذنيه كان من الراكعين الساجدين حتى قبضه الله وكان قوي القلب ضعيف البدن مصفر اللون شديداً على نفسه فيقال له أرفق عليها فيقول للرفق أجهد وكان يقوم إلى حزبه من الليل فيقوم حتى يسقط من قامته ويضع خده لينام فيقول يا خد إنك أن توسد لنا وسدت بعد الموت صم الجندل ، ثم يشب كأن أفعى قد لدغته إلى مصلاه فلا يزال هكذا حتى يصبح فلقد مات وأنا في خدمة أبي يعقوب الكوفي فأخذه الذي أنزله في القبر وجعل الجندل تحت خده فعلمت أن الله صدقه في قوله يا خد إنك أن توسد لنا وكان (رحمه الله) كثير النور من الخلق يحب الخلوة والعزلة ورعاً زاهداً عارفاً بالله واقفاً مع الله شديد المعاملة طلباً للمواصلة يحب أهل الله أهل القرآن توفاه الله صغير السن في عنفوان شبابه ونار اجتهاده يقول لنفسه لا زال دأبي ودأبك هذا حتى أموت ، ما فاقه أحد في العبادة .

ومنهم أبو علي الشكاز (رضي الله عنه) كان عندنا بإشبيلية وبها مات وهو الذي خدم صالحاً العدوي شيخنا حتى مات كان كثير الدمعة لا تزال عينه تهطل أبداً كان لي عم أخو والدي وكان من أهل الله وخاصته وكان أبو علي يلازمه فكنت أبيت معه فألقي الحصير الجديد له يصلي عليها فتجري دموعه قد تعفن كله وانتشر عاشرته من وقت دخولي في هذه الطريقة حتى مات كان مولعاً بالنكاح جداً لا يستغني عنه فأراد شيخنا السبريلي يأخذه لابنة أخيه فمشت إليه أم الزهراء

فقلت يا أبا علي إن أبا الحجاج يحب أن يعطيك بنت أخيه وكان هذا يوم الأحد ، فقال أنا كنت من أحب الناس في مصاهرتة ولكن قد تزوجت وبعد خمسة أيام من يومنا هذا أدخل بزواجتي عروساً فقالت له بنت من تزوجت قال لها ستري ذلك الوقت ، وانصرف إلى منزله ولازم فراشه حتى أنقضت خمسة أيام فمات (رحمه الله تعالى) . كان يمد يده إلى ما وجد من نبات الأرض من أعظمه مرارة فيطعمك إياه كأنه حلواً رأيت له بركات كثيرة انتفعت بصحبته كان قد عمل على الأربعين السهلية وكان شجاعاً يعيش من عمل يده رآه أخوه بعد موته فقال ما فعل الله بك فقال يعطيني كل يوم عمل ثمانية أيام كان دائم الصيام والمواصلة كثير القيام منقبضاً عن الناس غير مجالس لهم يحن إلى جنسه كان مليح الدعابة يمزح ولا يقول إلا حقاً وكان يعجبه المزح بالحق ويكره الكذب وأهله ولا يحتمله خرج يوماً إلى دور بني صالح بجلود له لينقعها في النهر ويبسطها في الشمس فمرت به امرأة من أهل إشبيلية وفيهم وفي نسائهم حلاوة وظرافة فقالت لصاحبتها تعالي يا أختي نمازح هذا الرجل فإنه شكار - والشكار عندنا المشتغل بهذه الجلود الرقاق على نوع ما ويبيضها ويلينها كثيراً بعد شدتها فاتخذ أهل البلدة هذه اللفظة لفظة الشكار لقباً للرجل - لا يقوم بالنساء أي لين العضو مثل الجلد الذي يعمل فوقه عليه وهو يذكر الله تعالى وكان هو كثير الذكر لا يفتر فقالت السلام عليك يا أخي فقال عليك السلام ورجع إلى ذكره فقالت له ما صنعتك وما حرفتك فقال لها خل عنك هذا وعلم ما تريد فقالت له لا بد من هذا فتبسم وقال لها أنا رجل أبل اليابس وألين الشديد وانتف الشعر فولت وهي تضحك وقالت أردنا أن نرمية فرمانا ، وكان جليل الشأن سليم الصدر ما أضمر شيخنا لأحد قط لا يعلم ما الناس فيه وما يتخيل أن في الوجود من يعصي الله .

ومنها (رضي الله عنهم) أبو محمد : عبد الله بن محمد بن العربي الطائي وهو عمي شقيق والذي دخل هذه الطريق في آخر عمره على يد

صبي صغير لم يدر ما هذا الطريق دخله وهو في عمر الثمانين فلازم المجاهدة والسواحل حتى برع فيه كانت له في كل يوم ختمة لا زمة يهب نصفها لذلك الصبي الذي رجع على يديه ، بصره ذلك الصبي بالطريق وكان (رحمه الله) يجلس في البيت فيقول طلع الفجر فسألته من أين تعرف ذلك فقال يا بني أن الله يوجه ريحاً من تحت العرش تهب في الجنة فتخرج بريحها عند طلوع الفجر يشتتها كل مؤمن في كل يوم . أصابته أدرة كبيرة فكان يجعلها أمامه مثل المخدة الكبيرة وكان له ولد خلف قد أفرح قلبه فدعا عليه فمرض وكان يسأل الله أن يقدمه أمامه وحينئذ يموت فمات ابنه قبله فدفنه وقال الحمد لله إني أعيش بعده أربعة وأربعين يوماً وأموت . فعاش كما قال ومات ولما كانت ليلة وفاته قعدنا عنده بعد صلاة العشاء وهو مستقبل القبلة فوجد بعض راحة وأدركته قد عظمت فقال لنا استريحوا وارقدوا فأخذنا مضاجعنا فقمنا إليه في وقت السحر فوجدته قد فاضت نفسه (رحمه الله تعالى) وما شاهد أحد موته وطلبنا تلك الأدرة فلم نجد منها شيئاً ، فقلنا لعل كانت رياحاً وبقي الجلد فإذا به مثل جميع الناس ما عنده شيء فعجبت أن ستره الله وأخفاه . كان يخبرنا بعجائب . كان عمره من وقت رجوعه إلى هذه الطريق إلى أن مات ثلاثة أعوام خاصة . مات قبل أن أدخل هذه الطريق .

ومنهم (رضي الله عنهم) أبو محمد عبد الله بن الأستاذ المروزي خدام الشيخ أبا مدين وكان الشيخ يسميه الحاج المبرور وحج صحبة عبد الرزاق ، صاحب بمكة أبا عبد الله بن حسان طلب ابن حسان أن يعطيه ابنته رغبة فيه فأبى أن يأخذها مخافة أن لا يقوم بحققها وكان الشيخ أبو مدين يحبه جداً قال له يوماً يا أبا عبد الله كبر على دعائي الناس إلى الله ولا يجيب أحد وأريد أن أصطفيك لنفسني وتخرج معي إلى بعض هذه الجبال فالزم مغارة تصحبني فيها إلى أن أموت قال ففرحت بذلك وعلمت أن لي عند الله مكان فلما كان الليل قال عبد

الله نمت فرأيت الشيخ في النوم إذا تكلم مع الناس صار شمساً وإذا
 سكت صار قمراً فقصصتها عليه بكرة فتبسم وقال الحمد لله يا ولدي
 أريد أن أكون شمساً فإن الشمس تنفي كل ظلمة وتكشف كل كربة .
 كان هذا عبد الله له همة فعالة وصدق عجيب . سافر من عند الشيخ
 أبي مدين إلى الأندلس بسبب والدته فأودعه الشيخ أبو مدين سلامه إلى
 أبي عبد الله الشيخ المسن بمدينة «المرية» المعروف بالغزال من
 أصحاب ابن العريف من أقران أبي مدين وأبي الربيع الكفيف الذي
 كان بمصر وعبد الرحيم الذي كان بقنا وأبي النجا الذي كان بجزيرة
 الذهب (رحمهم الله تعالى) فلما وصل إلى المرية قصد إلى الشيخ أبي
 عبد الله فوجد أصحابه قعوداً فقال لهم استأذنوا لي على الشيخ فقبالوا
 الشيخ نائم في هذه الساعة ولم يقبلوا عليه فعز عليه ما هم فيه من كثافة
 الحجاب حيث لم يعرفوه فقال لهم أن كنت جئت إليه في الله فالله
 يوقظه الساعة فإذا الباب فتح والشيخ قد خرج يمسح النوم عن عينه
 فقال أين هذا الذي جاء ، فسلم عليه وأكرم نزله . وكان الغالب على
 أبي محمد البسط وكان أصحاب الشيخ مقبوضين فعندما ودعهم
 وانصرف قال له أصحاب الشيخ لو انقبضت يا أبا محمد من هذا البسط
 الذي أنت فيه فقال لهم البسط ما هو ؟ فقالوا رحمة قال والقبض ما هو
 قالوا عذاب فقال اللهم لا تنقلني من رحمتك إلى عذابك فخرجوا
 وانصرف عنهم . ومن أخباره (رضي الله عنه) أنه لما وصل إلى غرناطة
 نزل عند الشيخ أبي مروان وكان قد عرفه عند أبي مدين وقد رأى أبو
 مروان عند الشيخ أبي مدين في حق رجل مرض منهم فأخذوا عنه
 مرضه وحملوه فاستراح من حينه فأخبر أصحابه بغرناطه فلما وصل
 شيخنا عبد الله المروزي إليها قال أبو مروان والناس قد اجتمعوا من
 أجله في الدار وقد جعلت بين أيديهم مائدة وعليها مجبنات بعسل وكان
 ابن صاحب الدار قد مشى في السحر إلى قرية له قريبة من البلد
 فتأسف أهل المجلس لما لم يحضر معهم الطعام ابن صاحب الدار

فقال لهم أبو محمد المروزي بعدما أكل وشبع وأكل الناس إن شئتم أكلت عنه هنا ويشبع هو في قريته من هذا الطعام بعينه فارتابوا من كلامه في باطنهم وظاهرهم تخيل ذلك جملة فقال له أبو مروان بالله يا أبا محمد أفعل ذلك فقال بسم الله وأبدأ يأكل كأنه ما أكل شيئاً حتى وقف وقال قد شبع وأن زدت عليه أكثر من ذلك يهلك فبهت أهل المجلس وعزموا أن لا يبرح أحد منهم حتى يصل ذلك الرجل الذي أكل عنه فلما كان عشية ذلك اليوم دخل عليهم من القرية فقاموا إليه وأنزلوه وقالوا نراك جئت ب زادك الذي حمته معك ما أكلت منه شيئاً فقال لهم يا إخواني اتفق لي اليوم شيء عجيب أنا عندما وصلت إلى القرية وقعدت فإذا أنا أحس بمجبنات بعسل تنزل في حلقي فتستقر في معدتي حتى شبعت ولوزادت علي أهلكتي وأنا حتى الآن شابع منها اتجشأها فتعجب القوم وفرحوا أن رأوا رجلاً أخبرنا بالمسألة كيف وجدت ، أخبرني بها بدار عبد الله الشكاز الباعي الشخص الذي أكل عنه فشبع ومعى صاحبي عبد الله بدر الحبشي ونحن في جماعة ونأسف وقال من مثل عبد الله المروزي ما رأينا مثله ولقد أطلعني الله عز وجل ليلة على المقامات ومشى بي عليها حتى وصلت مقام التوكل فرأيت شيخنا عبد الله المروزي في وسط ذلك المقام والمقام يدور عليه كدوران الرحا على قطبها وهو ثابت لا يتزلزل فكتبت له بذلك . عاشرته معاشرة انتفعت به . وله امرأة في غاية الجمال صغيرة السن أحسن منه وأقوى وكان سيدنا هذا عند شمس (أم الفقراء) ب «مرشانة الزيتون» في يوم أربعاء فقالت العجوز تمنيت أن يأتينا غداً أبو الحسن بن قيطون فاكتبوا إليه عسى يصل غداً وكان في بلد «قرمونة» بينهما سبعة فراسخ وكان أبو الحسن هذا يعلم الصبيان القرآن ب «قرمونة» ويعطل الخميس والجمعة فقال أبو محمد سيدنا (رضي الله عنه) هكذا تعمل العامة فقالت له العجوز فما تفعل قال أسوقه بهمتي فقالت أفعل فقال قد حركت الساعة خاطره بالوصول إلينا غداً إن شاء

الله تعالى فلما أصبحت قالت له تراه ما جاء قال غفلت عنه ولكني أخرجه لكم الساعة فارسل همته إليه فلما كان قبيل الظهر دخل عليهم على غفلة أبو الحسن المذكور ، فتعجبوا ، فقال المروزي : سلوه ما الذي أمسكك عنا إلى هذا الوقت وكيف خطر لك ومتى نويت الوصول إلينا فقال أمس العصر وجدت في باطني قائلاً يقول مر غداً إلى العجوز بـ «مرشانة» فقلت لصبيان المكتب لا يجيء أحد منكم غداً فلما أصبحت فترعني ذلك - وهو الذي غفل سيدنا أبو محمد عنه - قيل له إيه قال فوجهت إلى الصبيان ووصلوا وأخذوا ألواحهم ليكتبوا فأننا كذلك إذ وجدت قلبي قد انقبض وشد عليه وقيل لي أخرج الساعة إلى «مرشانة» إلى زيارة العجوز فقلت للصبيان سيروا إلى منازلكم وهو كان خروجي إليكم فهذا الذي أبطأني فقالوا له اتفق من الأمر كذا وكذا ووصفوا له الحال فتعجب وقال هذا والله العظيم كان فكان بعد ذلك ينظره بعين التعظيم واهتز وأخذ في الرحلة أبو الحسن المذكور إلى «المرية» إلى شيخ كان بها يُقال له أبو عبد الله الغزال (رحمه الله تعالى) : من أصحاب ابن العريف من أقران أبي الربيع الكفيف وأبي النجا وعبد الرحيم وهذه الطبقة ورآه وانتفع به ثم عاد إلى «قرمونة» فلم يزل يخدم الفقراء ويضيفهم ويتواضع وكنت استحسن منه ذلك فاشهد لقد رأيته وصل إلى «إشبيلية» فصاحب الفقهاء وجالس الطلبة المكبين على الدنيا وقرأ الفقه وأصوله وعلم الكلام وسكن «إشبيلية» يعلم بها القرآن فأداه صحبة أولئك إلى تجهيل الفقراء الصادقين في أحوالهم ونبذهم .

فإياك يا أخي عافاك الله من الظن السوء : أن تظن في أنني أذم الفقهاء من أجل أنهم فقهاء أو لنقلهم الفقه لا ينبغي أن يظن هذا بمسلم ، وإن شرف الفقه وعلم الشرع لا خفاء به ولكن أذم من الفقهاء الصنف الذي تكالب على الدنيا وطلب الفقه للرياء والسمعة وابتغى به نظر الناس ليقال ، ولازم المرء والجidal وأخذ يرد على أبنا الآخرة الذين اتقوا الله فعلمهم من لدنه علماً فأخذت الفقهاء - أعني هذا الصنف

منهم - في الرد عليهم في علم لا يعلمونه ولا عرفوا أصوله ولو سئل عن شرح لفظة مما اصطلاح عليه علماء الآخرة ما عرفها وكفى به جهلا ولو نظر في قول الله تعالى : ﴿ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم﴾ الآية لاعتبر وتاب وقد ذم (ع) العلماء لكونهم طلبوه لغير الله وتصرفوا به في غير مرضات الله لا لكونهم علموا ، كما مدح الصنف الآخر من العلماء بالخشية وغير ذلك كما أني قد ذممت الصوفية في كتابي هذا ولم أرد به الصادقين وإنما أعني الصنف الذي تزييا بزيهم عند الناس وباطنة مع الله بخلاف ذلك ، قال الله تعالى : ﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه﴾ فلا أنكر مرتبة الفقه وقد سمعت النبي (ص) يقول من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ولما كان هذا الصنف من الفقهاء غلبت عليهم نفوسهم وشهواتهم واستولى عليهم الشيطان وعلى أيديهم جرى الضرر على أولياء الله وبشهادتهم هلكوا كما سيأتي في آخر الكتاب هذا عن النبي (ص) . وأما العلماء العاملون المنصفون الراسخون في العلم فهم السادة الذين هداهم الله فهم مصابيح الهدى وأعلام التقى وارثوا رسول الله (ص) في العلم والعمل والوصف الذين صح لهم نسب التقوى فإذا سمعتني أذم الفقهاء في هذا الكتاب فإنما أعني به هذا الصنف المدبر الذي اتبع شهوته وغرض نفسه الأماراة بالسوء وكذلك ذمي للصوفية فإنما أذم هذا الصنف الذي ذكرت فإن الحلولية والإباحية وغيرهم من هذا الطريق ظهروا وتظاهروا واتصفوا فهم قرناء الشيطان وحلفاء الخسران : نور الله بصائرنا وبصائرهم وأصلح سرائرنا وسرائرهم وأوقفهم على عيوبهم لعلهم يرجعون . وأشهد لقد وصل إلينا هذا السيد عبد الله المروزي الذي رأى له تلك البركة ليزوره في داره فقرع عليه الباب وأنا معه وصاحبي عبد الله بدر الحبشي فقال من بالباب فقال عبد الله المروزي جاء ليزورك فسكت ساعة ثم خرج إليه ابنه وقال له مشغول هو ثم قال له ما هو هنا ولم ير مكانته هذا انتهى بغضه في

الفقراء وهذا حصل له من شؤم الفقهاء حال الله بيننا وبين كل من
يقطعنا عن الله وعن أهله وخاصته وكان إذا لقيني يعتبني على صحبتهم
ويقول لي مثلك من يصحبهم فأقول له مثلي لا يصلح أن يخدمهم
فإنهم السادة وإنما كان يحن إلى مشاركتي له في علمه الذي قرأه لا
لكوني في طريق القوم ولا لمحبتهم فيهم فتركته في ذات الله تعالى
وتركت معاشرته وصار اليوم حكمه حكم الفقهاء في الولاية لأنها معقولة
متوهمة لا يعرف صاحبها ثم إذا وصف الفقيه أفعال الأولياء أقيدها عليه
ثم أريه تلك الأفعال في شخص فإذا رآه يقول إيه من قال إنه أخلص
فيها لو كان مخلصاً ما أطلعت أنت ولا أنا عليه إنما نصب هذا لحيلة
ما فلا تراه يحسن الظن بأحد قط ولم أزل أبداً والحمد لله أجاهد
الفقهاء في حق الفقراء السادة حق الجهاد وأذب عنهم وأحمي وبهذا
فتح لي ومن تعرض لذمهم والأخذ فيهم على التعيين وحمل من لم
يعاشر على من عاشر فإنه لا خفاء بجهله ولا يفلح أبداً ولقد تكلم معي
بحرم مكة رجل يُقال له القاضي عبد الوهاب الأزدي من أهل اسكندرية
فقيه قد استحوذ عليه الشيطان بحيث صيره أن يعتقد أن الزمان فارغ
من جميع المراتب في كل فن وإنما هي تلفيقات وخرافات فسألت كم
بلد في معمر الأرض للمسلمين فقال كثير ، فقلت له كم دخلت
منها ؟ فذكر ستة بلاد أو سبعة ، فقلت له : كم الخلق فيها ؟ قال
كثير ، فقلت له : من أكثر الذي رأيت أم الذي لم تره ؟ قال الذي لم
أره فضحكت وقلت له حد المعتوه الأحمق الذي يرى الكثير ويبقى له
القليل فيقيس القليل على الكثير ويحملة عليه في الحكم وأما المؤمن
الناصح نفسه فإنه يقول : ولعل في ذلك القليل ولو كان واحداً لم أره
لعله ذلك السعيد ؟ كيف ومن يقول ما رأيت إلا القليل ولا من البلاد
ولا من الناس ثم يعتقد ذلك فلا خفاء بجهله ثم إنه لا يطلع الله مثل
هذا إلا على نقائص العالم لا على فضائله حتى يحكم على الغائب
بما يراه فيشقي بذلك عند الله وأين هو من قول الله تعالى وإن تطع

أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله فكثروهم وقال ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ وقليل ما هم فقللهم ثم إن في المسألة ما هو أعجب من ذلك إني سمعته يقول ما يناقض أصله من جهة علمه فقال الناس على قسمين دني وغير دني : ذكي وغير ذكي فغير الذكي لا كلام معه لنقصه والذكي لا يسلم من الغلط فما ثم شيء فانظر نظره إلى باب العيب والنقص لشقاوته وتركه النظر في أحوالهم إلى باب الفضل هلا قال عند هذا التقسيم فغير الذكي يأتي إلى العالم فيأخذ منه العلم تقليداً لعدم فطنته فيوفق ويرجى أن يعلمه الله والثاني الغالب عليه الإصابة في عموم أحواله وهذا لا يقنع في الأشياء إلا بالبراهين من نفسه لذكائه فمنهما غلط إن استمر في غلظه بعد اجتهاده فمعفو عنه أو قد يرجع عن ذلك وأما نقض أصله فيها فقول النبي (ص) في الحاكم إذا اجتهد فإن أصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر وكل مجتهد مصيب فتراه مأجوراً في الحالتين لا وزر عليه البتة ، فرأيت هذا الفقيه أجهل الجاهلين والحمد لله رب العالمين .

ومنها (رضي الله عنهم) أبو محمد عبد الله الباغي الشكاز (رضي الله عنه) من «حصن باغة» سكن «غرناطة» وهو بها حتى الآن اجتمعت به في منزله مع صاحبي عبد الله بدر الحبشي وكانت عاداتي إذا دخلت على من دخلت عليه من شيخ أو فقير ادفع إليه كل درهم يكون عندي لا أمسك شيئاً فلم يكن عندي سوى درهم واحد في اليوم فدفعته إليه . كان (رضي الله عنه) من أهل الجد والاجتهاد الغالب عليه الحزن والبكاء يكره المعصية كما يكره الكفر ويكره الصغيرة كما يكره الكبيرة ويحقق في مقام المحافظة يكاد يكون معصوماً كما قال أبو عقاب قال صحبت شيخني هارون فلم أر له كبير عمل ينام الليل كله فوق في نفسي من قلة اجتهاده فهتف بي هاتف ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ أُجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُم كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءٌ مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ قال فأتيته فقلت يا سيدنا هل أتيت كبيرة قط

قال ولا صغيرة عن تعمد . كان (رضي الله عنه) ليله قائم ونهاره صائم لم يقدر مرید قط على صحبته لأنه كان يطلبه باجتهاده فيفر منه . عاش وحيداً فريداً ليس عنده ، ولا له على النفس رحمة يُقال له عن رحمة الصحابة بأنفسهم فيقول لو لم يكن لهم إلا الصحبة متى نلحق بهم . لم أر له شبيهاً إلا أبا مسلم الخولاني التابعي كان قد أخذ في الجدل والاجتهاد ويقطع القضبان فإذا كسل عن الوقوف في الصلاة ضرب بالقضيب ساقيه ويقول أنت أحق بالضرب من دابتي حتى تنكسر القضبان كلها ثم يقول : «أيظن أصحاب محمد (ص) أن يفوزوا بمحمد (ص) دوننا والله لأزاحمهم عليه حتى يعلموا أن خلفوا بعدهم رجالاً» . كان هذا الشكاز مليح المقابلة حسن المعاشرة كثير التلهف يحن إلى الإشارات سمعته يقول انظروا في هذه الأربعة : ﴿رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾ لا تلهيهم تجارة - وعلى الأعراف رجال - يأتوك رجالاً - (رضي الله عنهم) .

ومنهم (رضي الله عنهم) أبو محمد عبد الله القطان المفتوح عليه في القرآن كان يصدع بالأمر لا تأخذه في الله لومة لائم يرد كلام السلاطين في وجوههم أقبح الرد ، له صولة يرمي من شاء بالحق ولا يبالي عرض بنفسه للقتل من كثرة سبه لأفعال السلاطين وما هم عليه من مخالفة الشريعة . له مجالس معهم يضيق الوقت عن ذكرها لا يتكلم إلا بالقرآن ولا يرى غيره لم يكتسب كتاباً . سمعته يقول بمدينة قرطبة في جماعة مساكين «أصحاب المصنفات والتأليف ما أطول حسابهم» في كتاب الله مقنع وفي حديث رسول الله (ص) كان يحافظ على صاحبه لم يتنعم قط ولا جمع بين درهمين وجه السلطان فيه ليقتله فأخذه الأعوان دخلوا به على الوزير فأقعد بين يديه فقال يا ظالم يا عدو الله وعدو نفسه فيما وجهت فقال قد أمكن الله منك ما تعيش بعد هذا أبداً فقال له الشيخ لا تقرب أجلاً ولا تدفع مقدوراً كل ذلك لا يكون ، أنا والله أشهد جنازتك فقال الوزير لوزعته اسجنوه حتى أشاور

السلطان في قتله فسجن تلك الليلة فانصرف، وهو يقول عجباً لم يزل المؤمن في سجن وإنما هذا بيت من بيوت السجن فلما كان في اليوم الثاني جلس السلطان وأخبره الوزير بقصة الشيخ وكلامه فأمر به فحضر بين يديه فرأى رجلاً دميم الخلقة لا يؤبه له وما أحد من أهل الدنيا يريد له خيراً وهذا كله لقوله الحق وإظهار معائبهم وما هم عليه من الجور والفساد فقال له السلطان بعد ما سأله عن اسمه ونسبه أت حفظ توحيدك فتلا عليه من القرآن بتقاسيمه فتعجب الملك وانبسط له إلى أن دخل معه في المملكة وشأنها فقال له السلطان ما تقول في ملكي هذا فضحك فقال له مم تضحك فقال منك تسمي الزمان الذي أنت فيه ملكاً وتسمي نفسك ملكاً أنت كمن قال الله تعالى فيه : ﴿وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً﴾ إنما كان الملك اليوم الذي يصلى اليوم بنارها ويجزي بها وأما أنت فرجل عجنت لك خبزة وقيل لك كلها ثم أغلظ عليه في القول بكل ما يكرهه ويغيظه وفي المجلس الوزراء والفقهاء فسكت السلطان وخجل وقال هذا رجل موفق يا عبد الله أجلس مجلسنا قال لا فإن مجلسك مغضوب ودارك التي تسكنها أخذتموها بغير حق ولولا أنني مجبور ما دخلت هنا حال الله بيني وبينك وبين أمثالك ، فأمر له بأعطية وعفاه في نفسه فرد له الأعطية وقبل العفو وخرج فأمر السلطان أن تدفع إلى أهله ، وما مضى زمن قليل إلا والوزير قد مات وخرج أبو محمد وحضر جنازته وقال بررت في قسمي . وكان يصيح ويرفع صوته أمام أرباب الدولة ويقول هؤلاء الفجار بغوا في الأرض (عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) ﴿خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون﴾ . صاحبت هذا الرجل وكان يحبني كثيراً استدعيت له ليلة ليبيت عندي فلما أخذ مجلسه جاء والدي (رحمه الله) وكان من أصحاب السلطان فلما دخل سلم عليه وكان والدي قد أنقا فلما صلينا العشاء قدمت له الطعام وقعدت أكل وانضم والدي يغتنم بركته فرد إليه وجهه (رضي الله عنه) وقال يا شيبة

منحوسة أما آن لك أن تستحيي من الله إلى متى تصحب هؤلاء الظلمة ما أقل حيائك أأمنت من الموت أن يأتيك وأنت على شر حالة أمالك في ابنك هذا - وأشار إلي - موعظة شاب صغير في شهوته قمع هواه وطرد شيطانه وعدل إلى الله تعالى يصاحب أهل الله وأنت شيخ سوء على شفا حفرة من النار فبكاء والدي واعترف وأنا في ذلك كله أتعجب . وله أخبار كثيرة وشأنه عجيب جمعت بينه وبين صاحبي عبد الله بدر الحبشي بقرطبة ومشينا معه إلى منزله (رضي الله عنه) . سمعته يوماً يقول عجبت لمن يطلب ما يركب وهو لم يشرع في شكر ما أكل وما لبس . كان لا يزيد على الحاجة شيئاً في مأكله وملبسه ، كان قاصماً للجبارين ما تفوته غزوة قط في الروم راحلاً بغير زاد .

ومنهم (رضي الله عنه) ابن جعدون الحناوي مات بفاس سنة سبع وتسعين وخمس مائة جمعت بينه وبين صاحبي عبد الله الحبشي كان (رضي الله عنه) واحداً من الأربعة الأوتاد يمسك الله العوالم بهم سأل الله تعالى أن يسقط حرمة من قلوب العالم فكان إذا غاب لم يفتقد وإذا حضر لم يستشر وإذا جاء لا يوسع له وإذا تكلم بين قوم ضرب وسخف كان سبب اجتماعي به ما أذكره الآن وذلك أنني لما وصلت مدينة فاس فكان ذكرى قد بلغ من بها فأحب من بلغه ذلك الاجتماع بي فكنت أفر من الدار إلى الجامع فلا أوجد في الدار فأطلب في الجامع وأنا أراهم فيأتوني فيسألوني عني فأقول لهم اطلبوه حتى تجدوه فبينما أنا قاعد وعلي ثياب رفيعة جداً وإذا بهذا الشيخ قد قعد بين يدي ولم أكن أعرفه قبل ذلك فقال لي السلام عليك ورحمة الله وبركاته فرددت عليه ففتح كتاب «شرح المعرفة» للمحاسبي فقرأ منه كلمات ثم قال لي أشرح وبين ما قال فخطبت بأحواله ومن هو ومقامه وأنه من الأوتاد الأربعة وأن ابنه يرث مقامه فقلت له عرفت فأنت فلان فأغلق كتابه وقام واقفاً وقال الستر الستر إني أحبك فأحببت أن أتعرف إليك فقد صح المقصود ثم انصرف فلم أكن أجالسه قط إلا إذا لم يكن معنا

أحد وكان معقود اللسان لا يتكلم إلا عن مشقة فإذا تلى القرآن كان من أحسن الناس صوتاً وأبدعهم مساقاً ، كان كثير الاجتهاد وكان ينخل الحنا بالأجرة ، قل ما تراه إلا مكحول العينين أشعث أغبر .

وإنما كان يكحل عينيه من أجل غبار الحنا .

ومنهم (رضي الله عنه) أبو عبد الله محمد بن أشرف الرندي من الأبدال شيخ الجبال والسواحل انقطع بالجبال والسواحل لا يأوي إلى معمر قريباً من ثلاثين سنة كان قوي الفراسة كثير البكا طويل القيام دائم الصمت كثيراً ما ينكت بأصبعه في الأرض مطرقاً متفكراً يرفع رأسه فيتنفس الصعداء لصدره أزيز شديد انوجد غزير الدمعة صاحبه وعاشرته زماناً كان إذا وقعت عينه علي فرح بي واستبشر خرج عن حال كثير وافر كان من أعين من في موضعه خرجت وقتاً من مدينة «شدونة» أريد الساحل في طلب الرجال فتبعني شاب لا نبات بعارضيه يرئد صحبتي فأخذته معي فقام أمامي شخصان الواحد أسمر طويل يقال له عبد السلام السائح يجول في الأرض لا يقرب به قرار ومعه آخر يُقال له محمد بن الحاج وكانا يمشيان مشياً سريعاً فلحقتهما وكان بيني وبينهما خمسة أميال فمررت عليهما مستعجلاً وكان يوم الجمعة فأويت إلى قرية يُقال لها «روطة» من أجل صلاة الجمعة فدخلت مسجد الجماعة فركعت ركعتين وهو موضع يطرقة الصالحون رباط حسن له بركات مشهورة فاتفق لي بها قصة فلم ألبث أن جاء هذا - أبو عبد الله بن أشرف - فلما دخل قام إليه ذلك السائح وصاحبه فسلما عليه وعرفاه وأنا مضطجع في الجامع أضرب بيدي على صدري وأغني شعراً :

ضاحك عن جمان سافر عن بدر
ضاق عنه الزمان وحواه صدري

فجاء إلي وأقامني وقال أتريد أن تستر نفسك ؟ فقلت له وكذلك تفعل أنت فكان كما قلته فأقبل إلي شيخ القرية ورغب أن أفطر عنده

أنا ومن شئت فقال لي ابن أشرف لا تأكل من هذا الطعام شيئاً واحمل
 جميع الفقراء فإذا أكلوا تأتي وتفطر معي فكان ذلك وأخبرني بأمور
 كثيرة ووعدني أن ألقاه بـ «إشبيلية» فأقمت معه ثلاثة أيام وانصرفت
 فأخبرني بكل ما يتفق لي من بعد مفارقتة حرفاً حرفاً فكان كذلك فلما
 وصلت إلى «إشبيلية» أقام الله بخاطري الرحلة إليك لأراك وانتفع بك ،
 وكان ذلك يوم الثلاثاء فشاورت الوالدة في السفر فأذنت فلما كان في
 غد قرع إنسان على الباب فخرجت فوجدت إنساناً من البادية فقال أنت
 محمد بن العربي ؟ فقلت له نعم ، قال كنت أمشي بين «ملجانة»
 و «مرشانة» فلقيني رجل له هبة وهمهمة فقال أنت تسير إلى «إشبيلية»
 قلت نعم قال سل عن دار ابن العربي واجتمع معه وقل له صاحبك
 الرندي يقرئك السلام وهذا كان طريقه إليك ولكن خطر لك الساعة أن
 ترحل إلى تونس فسر مسلماً عافاك الله واجتماعنا إن شاء الله إذا
 وصلت «إشبيلية» فكان كما قال فدخلت أنا في اليوم الثاني لزيارتكم
 وغبت عن موضعي ويوم وصولي أو ثانيه اجتمع بي وبت معه في دار
 أبي عبد الله القسطلبي . وكان سبب شهرته (رضي الله عنه) أنه كان كثيراً
 ما يقعد في جبل شامخ على «موزوز» فمشي بعض الناس فيه لحاجة
 فرأى عموداً من نور يتشعشع ولا يستطيع النظر إليه فقصده فوجد ذلك
 النور صاحبنا أبا عبد الله وهو قائم يصلي فأشهره . كان يحترف بجمع
 «البابينا» من الجبال ويأتي بها إلى المصرييها وينصرف له غرائب
 وعجائب عاينتها . لقيه القطاع وهو على «عين قاعد» فقالوا له ألق ما
 عليك من الثياب أو تموت فبكي وقال والله لا أحسنت عونكم على
 معصية إن أمرتم بشيء فافعلوه ثم أخذته غيرة في دين الله فنظر إليهم
 نظرتة المشهورة ففروا سألني يوماً بالساحل عن قوله تعالى : ﴿ما أريد
 منهم من رزق﴾ فلم أجبه وتركته واجتمعت به بعد ذلك بأربع سنين
 فقلت له يا أبا عبد الله قال نعم قلت خذ جوابك قال هات بعد أربع
 سنين وصل الوقت فأجبتة فيها وتعجب من حضوره فيها وكنت أتمنى

أبداً أن يراه صاحبي عبد الله بدر الحبشي فلما دخلت الأندلس معه
نزلنا بـ «رندة» فصلينا على جنازة فإذا بأبي عبد الله أمامي فقلت
لصاحبي عبد الله هذا فلان فسر بعضنا ببعض ودخلت به الموضع الذي
نزلت به فقال عبد الله وددت أن أرى من كراماته شيئاً فلما جاء
المغرب وصلينا أبطاً الذي نزلنا عنده بالمصباح فقال صاحبي الحبشي
أريد المصباح فقال أبو عبد الله نعم ثم أخذ بيده قبضة من حشيش من
البيت الذي كنا فيه ونحن ننظر ما يصنع فضربها بأصبعه المسبحة وقال
هذا نار فاشتعل الحشيش ناراً فأشعلنا المصباح ، كان يغترف النار بيده
من الكانون لحاجة ما فيمسكه ما شاء الله ولا تعدو عليه وكان من
الأمين سألته عن بكائه يوماً فقال آليت أن لا أدعو على أحد فأغاضني
رجل فدعوت عليه فهلك فندمت على ذلك إلى الآن فكان (رضي الله
عنه) رحمة للعالم وأخباره كثيرة يضيق وقتنا عن شرحها .

ومنهم (رضي الله عنهم) موسى أبو عمران السيد ، رأيته ، كان من
الأبدال وكان مجهولاً له عجائب وغرائب كان سبب اجتماعي به أنني
قعدت بعد صلاة المغرب بمنزلي بـ «إشبيلية» في حياة الشيخ أبي مدين
وتمنيت أن لو اجتمعت به والشيخ في ذلك الزمن بـ «بجاية» مسيرة
خمسة وأربعين يوماً فلما صليت المغرب تفلت ركعتين خفيفتين فلما
سلمت دخل علي هذا - أبو عمران - فسلم فأجلسته إلى جانبي وقلت
من أين فقال من عند الشيخ أبي مدين من «بجاية» قلت متى عهدك به
قال صليت معه هذا المغرب فرد وجهه إلي وقال إن محمد بن العربي
بـ «إشبيلية» خطر له كذا وكذا فسر إليه الساعة وأخبره عني بكذا وكذا
وذكر لي من رغبتني في لقاء الشيخ وقال لي يقول لك أما الاجتماع
بالأرواح فقد صح بيني وبينك وثبت وأما الاجتماع بالأجسام في هذه
الدار فقد أبى الله ذلك فسكن خاطرك والموعود بيني وبينك عند الله في
مستقر رحمته وذكر كلاماً خلاف هذا ورجع إليه كان هذا - موسى (رضي
الله عنه) - من أهل السعة في الدنيا فخرج عنه ففتح الله عليه في ثمانية

عشر يوماً إلّتحق بالأبدال كان يتسوّأ من الأرض حيث يشاء وشى به إلى السلطان فأمر بتقييده فقيد بالحديد وسير به إليه فلما قرب من فاس ألقي في بعض المنازل في بيت وأقفل عليه وبات عليه الحرس فلما أصبح فتح الباب فوجدوا الحديد الذي كان عليه مطروحاً وما وجدوا أحداً ، فدخل فاس وقصد دار أبي مدين شعيب فقرع عليه الباب فخرج الشيخ بنفسه وقال له من أنت قال أنا موسى قال له الشيخ وأنا شعيب أدخل - لا تخف نجوت من القوم الظالمين - أخبرني شيخي أبو يعقوب الكوفي عنه أنه وصل جبل قاف المحيط بالأرض فصلّى الضحى بأسفله وصلّى العصر على ذروته سئل عن ارتفاعه في الهوى فقال مسيرة ثلاثمائة سنة وأخبر أن الله طوق هذا الجبل بحية اجتمع رأسها بذنبها فقال له صاحبه الذي كان معه سلم على هذه الحية ترد عليك قال موسى فسلمت عليها فقالت وعليك السلام يا أبا عمران كيف حال الشيخ أبي مدين فقلت لها وأني لك بمعرفة أبي مدين فقالت عجباً وهل على وجه الأرض من يجهل أبا مدين إن الله تعالى قد أنزل حبه إلى الأرض ونادى به فعرفته أنا وغيري فلا شيء من رطب ولا يابس إلّا يعرفه يحبه دخل هذا - موسى - أرضاً رأى النمل فيها على قدر المعز عجيبة الخلق ولقي عجوزاً خراسانية واقفة على البحر والأمواج تصطفق بين ساقيهما وهي تسبح الله وتقديسه ، شأن عجيب وحديث طويل .

ومنه (رضي الله عنهم) أبو محمد مخلوف القباني سكن قرطبة حتى مات عن أذن رسول الله (ص) حملت إليه والدي (رحمه الله تعالى) فدعا له ومسكناً عنده من غدوة حتى صلينا العصر وأكلنا من طعامه كنت إذا دخلت بيته أخذك الحال قبل أن تراه فإذا رأيته رأيت منظرأ عظيماً عليه ثوب صوف كان ذاكرأ على الدوام خلاف أوراده كان له كل يوم خلاف ذكره كذا ألف تسبيحة وكذلك التكبير والتحميد والتهليل كان يعم بدعائه أهل السموات وأهل الأرض حتى الحيات في البحر وكان

سريع العبرة وأراد أن يحضر بئراً في داره فسيق إليه عالج مأسور ليحفره فقال (رضي الله عنه) هذا العالج قد خدمنا فنسأل الله في إسلامه فخلا بنفسه ليلته يسأل الله فيه فلما أصبح أقبل العالج لشغله وهو قد اسلم فسأل عن سبب ذلك فقال رأيت النبي (ص) وأمرني أن أومن به فأمنت وقال بشفاعته أبي محمد مخلوف فيك أو كلام هذا معناه . تركته في عافية وانصرفت إلى منزلي فلما جاء الليل وتخذت مضجعي فرأيت في المنام كأني بأرض واسعة وسحاب يدنو فيها سهيل الخيل وقعقة اللجم رأيت أشخاصاً ركبانا وعلى أقدامهم فينزلون في ذلك الفضاء حتى امتلأ بهم الفضاء ما رأيت قط أحسن وجوهاً منهم ولا أنقى ثياباً ولا أحسن من خيلهم وكنت أرى رجلاً طويلاً عظيم اللحية أشيب يده إلى خده واسع الوجه فكنت من بين الجماعة كلها أقول له أخبرني ما هذا الجم الغفير فيقول لي هؤلاء جميع النبيين من آدم إلى محمد (عليهم الصلاة والسلام) ما بقي أحد منهم إلا نزل فقلت من أنت منهم ؟ قال أنا هود صاحب عاد فكنت أقول له فيم جئتم فيقول جئنا عوادا زائرين أبا محمد فاستيقظت فسألت عن أبي محمد مخلوف فوجدته قد مرض تلك الليلة فلبث أياماً ومات (رحمه الله تعالى) .

ومنها (رضي الله عنهم) صالح الخراز كان بإشبيلية من أهل الجد والاجتهاد والورع في العبادة أقبل على العبادة وهو ابن سبع سنين أو دونها كان مبهوراً أبداً ما لعب قط مع الغلمان ولا كلمهم يعمل الخرز من أجل ورعه حتى يأكل من عمل يده وكان له والدته وكان باراً بها نسخ بيده - مع صغر سنه - كتاب ابن العسال الكبير - ولازم العزلة كان طويل الصمت يقول أصحابه الذين كانوا معه ما كلمنا قط إلا فيما لا بد منه عاشرته وأحبته وكان إذا قال قولاً لا يرجع عنه لأنه لا يقول إلا عن صدق ولا يقضي حاجة أبداً ولا يعمل شغلاً قط لمن يعرف منه أنه يراه بعين التعظيم وأكثر شغله إنما كان مع الغرباء الذين يطرقون المدينة لا يعرفونه ولا يعرفهم ، قصد إليه بعض أصحابنا بنعله وقد

قطعه عمداً ليجد سبيلاً إلى مكالمته فسلم عليه فرد عليه السلام فقال له هذا نعلي أخرزه فقال له إن هذا النعل بيدي أصلح شأنه لصاحبه وقد دفع لي أجره وأنا واقف بحيث لا يراني فقال له أمسكه عندك حتى تفرغ من هذا النعل وتصلحه فقال ولعلي أموت قبل ذلك ترى غيري دون شغل أدفعه له فقال ما أريد أن يصلحه أحد إلا أنت قال قد قلت ما سمعت واشتغل بذكره قال له تراني أقعد هنا ونعلي عندي حتى تتمه وتصلحه قال ذلك لك إن شئت ولكن حتى أعرفك بأجري عليه قال له قل قال أجري عليه ثمن درهم قال له الرجل أنا أدفع لك ربع درهم قال ما يساوي قال له الرجل ذلك مني مسامحة قال غيري أحوج إليه مني إن كنت تعطي لله فإني قد أخذت قوت اليوم قال لا بد من ذلك قال له قد صدعتني يا إنسان سرعني لا أعمل لك شغلاً وأقبل على ذكره وشغله فرجع الرجل إلى منكسر القلب فقلت له قد طولت عليه أرجع إليه مرة أخرى وقل له أخرزه لي ابتغاء ثواب الله لا أدفع لك عليه شيئاً فرجع إليه فقال له ذلك فنظر إليه ساعة وقال له أنت مرسول ثم إلتفت وأبصرني فقال له أترك نعلك وانصرف عني فإذا كان العصر فأتني فإن وجدتني حياً دفعته لك وإن وجدتني ميتاً فتراني أوصي لك هذا الجار ثم إلتفت وأشار إلي فأقبلت إليه فقال هكذا تفعل الأصحاب ! ؟ يقابلون إخوانهم بما يسوءهم لا تعد لمثلها ولولا ما جعل الله في قلبي من الألفة ما رأيتك ولن أستر علي ، فلم أعرف بعد ذلك أحداً بحاله (رضي الله عنه) .

انتقل إلى سكن البادية يبتغي الإنفراد والعزلة .

ومنهم (رضي الله عنهم) عبد الله الخياط اجتمعت به بجامع العديس وهو ابن عشر سنين أو أحد عشر سنة وهو ذو طمرين ممتقع اللون كثير الفكر شديد الوجد والتوله كنت قد فتح لي في هذا الطريق وما علم بي أحد فأردت الموازنة معه فنظرت إليه فتبسم ونظر إلي وأشرت إليه وأشار إلي ، فوالله ما رأيت نفسي بين يديه إلا كدرهم

زائف وقال لي الجد الجد فطوبى لمن عرف ما خلق له وصلى معي
العصر وأخذ نعله وسلم علي وانصرف فذهبت أشيعه أعرف منزله فلم
أجد له أثراً فسألت عنه فلم أجد أحداً يخبرني عنه فما بقيت في راحة
دونه ولم أره بعد ذلك ولا سمعت به إلى الآن .

فمنهم صغير ومنهم كبير .

ومنهم (رضي الله عنهم) أبو العباس أحمد بن همام من أهل
«إشبيلية» ألهمه الله رشد نفسه وأقبل على العبادة قبل أن يبلغ الحلم
وكان ذا جد يبكي أبداً على نفسه ، كأنه الشكلى على وحيدها كان له
والد يحول بينه وبين طريق الله كلما أشد ذلك عليه قال لي يا أخي
اشتد علي الأمر وقد طردني أبي وقال لي سر حيث شئت وأنا أريد
الخروج إلى ثغور المسلمين لجهاد العدو وأربط بموضع منها حتى
أموت ، فمشى إلى ثغر منها يُقال له «جلمانية» ولم يزل بها حتى الآن
وصل إلى «إشبيلية» بعد ذلك وأخذ أسباباً يحتاج إليها ورجع يربط
بها .

كان أبداً ملازماً في دار عبد الله الخياط الذي تقدم ذكره .

ومنهم (رضي الله عنهم) أبو أحمد السلاوي وصل إلينا إلى
«إشبيلية» وأنا في تربية شيخنا أبي يعقوب كان هذا - أبو أحمد (رحمه
الله) - قوي الحال صاحب أبا مدين ثمانية عشر سنة وكان كثير الاجتهاد
والعبادة شديد البكاء بت معه شهراً كاملاً بمسجد ابن جراد فقامت ليلة
أريد أن أصلي فتوضأت وجئت إلى مسقف المسجد فرأيت نائماً عند
باب المسقف والأنوار متصلة إلى السماء وبقيت واقفاً أنظر فلا أدري
أمن السماء نزلت عليه تلك الأنوار حتى اتصلت به أو منه انبعثت حتى
اتصلت بالسماء فلم أزل واقفاً عليه أتعجب من حاله حتى استيقظ
وتوضأ وقام يصلي كان إذا بكى أخذ الدموع إذا سقطت من عينيه على
الأرض فأمسح بها وجهي فأجد فيها رائحة المسك فأخذها طيباً يشمها

الناس علي فيقولون هذا المسك من أين اشتريته ؟

ومنهم (رضي الله عنهم) أبو إسحاق إبراهيم بن طريف العبسي شيخ أبي عبد الله القرشي (رضي الله عنهما) كان بديار مصر وكان سمح الخلق لين الجانب قائلاً بالحق إلا تأخذه في الله لومة لائم من أهل الجد والاجتهاد كان يحن إلى العزلة ولا يقدر عليها من أجل الحرفة كان يبيع الفخار قيد كثيراً من كتب الطريق كانت المعاملة غالبية عليه يحب المعارف ويحن إليها وكان سبب موته أن رجلاً مر به فقال له يا سيدي مر عليك فلان - يسأله عن إنسان من أهل البلد وكان ذلك قد ابتلاه الله في عنقه بداء نسميه عندنا نفنفة - فلم يعرفه الشيخ جداً فألح عليه الرجل في السؤال فقال له أراك والله تسأل عن ذلك الرجل صاحب النفنفة في عنقه قال عنه أسأل قال الشيخ فناداني الحق في سري يا إبراهيم ما تعرف عبادنا إلا بما نبتليهم ما كان له اسم تذكره به لأمتينك بها ، فأصبح وقد خرجت في عنقه فقاساها يسيراً ثم مات . أخبرني بهذه الحكاية ابنه محمد بالحرم وقال لي أبي ما غلطت في مثل هذا النوع منذ عشرين سنة ، قصده في بلده مرتين وكان يحبني واجتمعت به مع صاحبي عبد الله الحبشي في «سبته» وفي بلده (رضي الله عنه) ونفعه .

ومنهم (رضي الله عنهم) أبو محمد عبد الله بن إبراهيم المالقي عرف بالقلفاط صاحب أبا الربيع الكفيف وغيره كان صديقاً لإبراهيم بن طريف كان هذا - عبد الله - يعمل على طريق الفتيان ولعمري قد ظهر فيه وبدت عليه أعلامه ما تراه يمشي قط إلا في حق غيره لا يلتفت لنفسه ولا لحقها يقصد إلى البلد الحكام في حوائج الناس داره للفقراء مباحة محافظاً للشريعة والآداب مشروح الصدر أكثر من إبراهيم بن طريف . كان ابن طريف عنده جمود اجتمعت به مراراً عديدة وكان يميل إلى جانبي كثيراً اتفق لي بمدينة «سبته» وهو بها مع ابن طريف أن وجه السلطان «أبو العلاء» مرتين ولم أكن حاضراً فأخذهما الفقراء

الذين كانوا وصلوا إلى الموضع من أجلي وانقبض خواص أصحابي عنها فلما كان في الليلة الثانية وجه إلينا كذلك «مرتين» فلم أقبل ولم أزرهم وكانوا قد أتوا إلينا فقراء بالقصد لما سمعوا أن السلطان يبعث إلينا فأقامت صلاة العشاء فصليت فقال بعض الفقراء «لا صلاة بحضرة طعام» فسكت عنه فغضب حيث لم أجبه فقلت أنا لم أقبل ذلك الطعام ولا أرى أن آكله فإنه عندي حرام ولا يمكن لي أن أمركم بأكله فإني أحب لكم ما أحب لنفسي ثم بينت وجه الحرام فيه ثم قلت هذا طعام حاضر من استحله أكله ومن لم يستحله تركه ودخلت إلى البيت الذي كنت فيه وادخلت معي خواص أصحابي فلما أصبح مشي ذلك ووشى عند الوزراء بأنني أقول فيهم أنهم أهل حرام وغير ذلك فاغتاظ الوزير وقال إن السيد والله هو الذي يتناول توجيه ذلك الطعام بنفسه وقام لذلك وقعد فوصلت المسألة إلى السلطان وكان عاقلاً فقال نحن ما قصدنا إلا الخير وهو أعرف بحاله لا ندخل عليه مضرة ولا ما يسؤوه وقبض ذلك عني فبلغ ذلك صاحبنا القلفاظ فاجتمع بي وخاف علي وعلى أصحابي مما يعرف من البلاد وعتبني على ذلك وقال يا فلان هذا في حق نفسك حسن ، غير أن المضرة تنسحب فيه على الطائفة وهؤلاء القوم ما يحتملون مثل هذا وقد قال بعضهم «ذل من ليس له ظالم يعضده وضل من ليس له عالم يرشده» فلما رأيت أن الرحمة غلبت عليه في حق الناس وتشديد الأمور والأخذ بالأرجح في المصلحة الدنيوية قلت له بشن العبد لله يستند إلى عدو الله لا راعى الله العالم إذا لم يراعوا حق الله ، الله أحق ، ونفضت يدي وقمت فأنصرف فلقيت ابن طريف والخبر عنده فقال لي السياسة أولى ، فقلت له ما دام رأس المال محفوظاً ، فسكت (رضي الله عنه) ولولا التطويل لذكرناهم عن آخرهم .

ولكن اقتصرت على هذا المقدار رغبة في الإيجاز والاختصار .
وقد أفردت لذكرهم كتاباً سميت «الدرة الفاخرة في ذكر من

انتفعت به في طريق الآخرة» ذكرت فيه مثل عبد الله بن تاحمست يعده أهل «إشبيلية» من الأبدال وآخر يُقال له «الشحان» كان من الأبدال فنزل وبقي حزيناً لا يكلم أحداً ، كنت إذا لقيتُه رحمتُه لما أراه فيه من الكرب .

ومنهم (رضي الله عنهم) الشيخ العارف السائح المتجرد المنقطع الصادق الصالح المسن أبو يحيى بن أبي بكر الصنهاجي من أهل المعارف والإشارات والتمكين قل أن تلقى مثله بيني وبينه مسائل من الحقائق كثيرة يضيق الوقت عن ذكرها ألفت من أجله كتاب «عنقاء مغرب في معرفة ختم الأولياء وشمس المغرب» .

ومنهم (رضي الله عنهم) أبو العباس بن تاجة ، من المجتهدين لم يزل المصحف بين عينيه حتى مات .

ومنهم (رضي الله عنهم) يوسف ب «قرمونه» من التالين لكتاب الله لا يتركه القرآن أن يتحدث مع أحد صواماً قياماً .

ومنهم (رضي الله عنهم) أبو الحسن القنوني بمدينة «رندة» من أهل الفتوة والمعارف السنية .

ومنهم (رضي الله عنهم) «اللهم صلّ على محمد» الحداد بمدينة «إشبيلية» كان مشتهراً بالصلاة على النبي (ص) دائماً لا يفتر .

ومنهم (رضي الله عنهم) أبو إسحاق القرطبي ب «بجاية» من أصحاب أبي مدين كان من الموحدين .

ومنهم (رضي الله عنهم) أبو عبد الله الهدوي بمدينة «فاس» بقي نيفاً وستين سنة ما استدبر القبلة حتى مات .

ومنهم (رضي الله عنهم) علي بن موسى بن البقران بمدينة «فاس» مجهولاً بهذه الطريقة كان غامضاً للناس فيها وكان لديه معرفة تامة كانت له فيها فراسة كان عند الناس مشهوراً بالقراءات والروايات (رحمه الله) .

ومنهم (رضي الله عنهم) أبو الحسين يحيى بن الصائغ بـ «سبته»
من المحدثين وهو صوفي وهذا من الإعجوبات محدث صوفي ،
كبريت أحمر ، له بركات كثيرة عاشته كثيراً ورويت عنه وقرأت عليه
كان زاهداً متجرداً .

ومنهم (رضي الله عنهم) ابن العاص أبو عبد الله «الباجي»
بـ «إشبيلية» (رحمه الله) كان فقيهاً زاهداً وهذا أيضاً غريب : فقيه زاهد ،
لا يوجد .

ومنهم (رضي الله عنهم) أبو عبد الله بن زين بـ «إشبيلية» كان من
أفضل الناس كثير الجهد والاجتهاد والتقشف كان يقرأ القرآن والنحو
بجامع العديس بـ «إشبيلية» لا يؤبه له غامضاً في الناس اعتكف على
كتب أبي حامد ، قرأ ليلة تأليف أبي القاسم بن أحمد في الرد على
أبي حامد فعمي ، فسجد لله من حينه وتضرع وأقسم أنه لا يقرأه أبداً
ويذهبه فرد الله عليه بصره ، وكان من فضلاء الناس .

لقيت أيضاً أخاه مثله ، نودي به عند سوته جنتين اثنتين لبني زين .

ومنهم (رضي الله عنهم) أبو عبد الله الفران إمام أهل البلاء بقرطبة
قل أن يلقي مثله سأله كيف يطيب عيشه معهم فقال لا أشم منهم إلا
رائحة المسك أحفظ من أحواله : عجائب .

ومنهم (رضي الله عنهم) أبو زكريا يحيى بن حسن الحسني بمدينة
«بجاية» من العلماء العاملين السادة صاحب زهد وورع ونصيحة خلوت
به يوماً عن إذنه فسأله وسألني فرأيت رجلاً الغالب عليه الخوف له
أخبار عجيبة في تقشفه وأكله لقيته مراراً وقرأت عليه من بعض تأليفه .

ومنهم (رضي الله عنهم) عبد السلام الأسود السائح لا أدخل قرية
إلا قيل من هنا مر فلان لا يقر له قرار سأله عن عدم قراره ، فقال أجد
حالة طيبة في الحركة .

ومنهم (رضي الله عنهم) أبو عبد الله القسطلبي بمدينة بـ «إشبيلية» من أهل الجد والاجتهاد والغيرة في دين الله تعالى إذا دخلت عليه في موضعه تنشط للعبادة .

ومنهم (رضي الله عنهم) أبو العباس أحمد بن منذر بمدينة «إشبيلية» من أهل القرآن والعربية والفقه جيد في مذهب مالك (رضي الله عنه) من كراماته إذا اعتاصت عليه مسألة في المذهب يرى مالكا يحلها له يتعرض إليه في داره الروحانيون والرجال يسلمون عليه يضيق عليه الحال فتلقى الدراهم بين يديه فيأبى أن يأخذها ويردها فترفع عنه غلب عليه الورع ، مباركا صالحا .

ومنهم موسى المعلم بمدينة فاس وهو من «قلعة بني سعيد» من نظراء «غرناطة» وابنه عبد الله نشأ صالحا لا يعرف المعصية هو الشاب التائب لا يعرف له صبوة حافظا لكتاب الله .

ومنهم (رضي الله عنهم) أبو العباس الخراز لقيته بمكة وانتفعت بدعائه ورأيت له بركة .

ومنهم (رضي الله عنهم) الحاج أبو محمد عبد الله البرجاني صاحبك وصديقك (رضي الله عنه)^(١) يحب السنة وأهلها صالحا جليل القدر كثير السكون سمعته يوما يقول في قوله تعالى : ﴿الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته﴾ لم تلوه هؤلاء حق تلاوته ؟ فقلت له : يا أبا محمد السؤال منك والجواب منك ! فتبسم وقال لأنه آتاهم فسبقت لهم العناية فلما أعطوا أعينوا . هذه إشارة بديعة تحتها بحور تزخر لمن نظر وتفكر ، يقول النبي (ص) في الإمارة «إن أعطيتها أعنت عليها وإن طلبتها لم تعن عليها» .

ومنهم (رضي الله عنهم) أبو عبد الله محمد البابلي الساكن بـ «دار

(١) في الهامش «يخاطب الشيخ عبد العزيز المهدي الموضوع له هذه الرسالة» ا . هـ .

القيرو» خديمك الذي فتح الله له على يدك بركاتك عليه كانت ظاهرة رأيت له أموراً عجيبة كنت أسربها لا يتسع الوقت بذكرها .

ومنهم (رضي الله عنهم) أبو عبد الله المرابط من أهل القرآن والليل ظهرت عليه أنوارك جيد الذهن سريع الفهم .

ومنهم (رضي الله عنهم) ميمون بن الترنسي كان يجمع القرمز يعيش منه مرض عندنا بإشبيلية فأخذته الصالحة زينب (امرأة من أطاع الله) لتمرضه في دارها بنفسها فلما انتقل عندها مات من ليلته كان من رجال الله .

ومنهم (رضي الله عنهم) أبو محمد عبد الله بن خميس الكتابي جرائحي بمدينة تونس لقيته وزرته حافياً على قدمي في شدة الحر تأسياً بشيخي أبي يعقوب وأبي محمد قالوا لي إنهما زاراه على هذه الحالة له بركات وحسبي علمك بحاله ولقيت بمكة الأشخاص السبعة (نفع الله المسلمين بهم) جالستهم بين حطيم الحنابلة وصفة زمزم وهم خاصة الله حقاً لا يطرَقون ، عليهم السكينة والهيبة لقيتهم وهم في حال المشاهدة فلم يقع بيني وبينهم مكالمة في معرفة ولقد رأيت من سكونهم مالاً يتصور أن يسكنه أحد .

ومنهم (رضي الله عنهم) «شمس» أم الفقراء بـ «مرشانة الزيتون» اختلفت إليها مراراً ما لقيت في الرجال مثلها في الحمل على نفسها كبيرة الشأن في المعاملات والمكاشفات قوية القلب لها همة شريفة ولها التمييز تستر حالها جداً كانت تبدي منه في السراء شيئاً إلي لما حصل عندها مني من المكانة وكنت أفرح لها بذلك بركات كثيرة ظاهرة اختبرتها مراراً في باب الكشف فوجدتها متمكنة الغالب عليها الخوف والرضى ، وتحصيل هذين المقامين في وقت واحد عندنا عجيب يكاد لا يتصور ، وكذلك لقيت فاطمة بنت أبي المتنبى بـ «إشبيلية» أدركتها في عشر التسعين قد اسنت لا تأكل إلا ما يطرح الناس على أبوابهم

من الأطعمة قليلة الأكل جداً كنت إذا قعدت معها استحيي أن أنظر إلى وجهها من عظيم تورده وجنتيها ونعمتها وهي في عشر التسعين سنة كانت سورتها من القرآن الفاتحة قالت لي أعطيت الفاتحة أصرفها في كل أمر شئت بنيت لها بيدي بيتاً من قصب تسكنه وكانت تقول لا يعجبني أحد ممن يدخل عليّ غير فلان - تعني إيتاي - فيقال لها بم ذاك فتقول ما منكم أحد يدخل عليّ إلا ببعضه وبترك بعضه في أغراضه من داره وأهله إلا محمد بن العربي ولدي وقرة عيني فإذا دخل عليّ دخل بكله وإذا قام قام بكله وإذا قعد قعد بكله لا يترك خلفه من نفسه شيئاً وهكذا ينبغي أن يكون الطريق . عرض الله عليها ملكه فلم تقف مع شيء منه إنما تقول أنت أنت ، كل شيء دونك مشؤوم عليّ ، كانت والهة في الله تعالى من رآها يقول عنها حمقاء فتقول الأحمق من لا يعرف ربه كانت رحمة للعالمين ضربها أبو عامر المؤذن بالدرة في الجامع ليلة العيد فنظرت إليه وأنصرفت متغيرة النفس عليه فبات تلك الليلة فلما كان السحر سمعت ذلك المؤذن يؤذن فقالت رب لا تؤاخذني تغيرت نفسي على رجل يذكر في دياجي الليل والناس نيام هذا ذكر حبيبي يجري على لسانه اللهم لا تؤاخذ به بتغيري عليه فلما أصبح دخل فقهاء البلد بعد صلاة العيد على السلطان ليسلموا عليه فدخل ذلك المؤذن في جملتهم رغبة في الدنيا فقال السلطان من يكون هذا قيل مؤذن الجامع فقال ومن أمره بالدخول مع الفقهاء أخرجوه فصفع وأخرج فشفع فيه عند السلطان فخلي سبيله بعدما أراد أن يعاقبه فقبل لها اتفاق لفلان مع السلطان كذا وكذا فقالت علمت ولولا أنني سألت التخفيف عنه لقتل . شأنها عجيب ماتت (رحمها الله تعالى) . فهذا يا نفس قد قصصت عليك حالة من تقدم وحال بعض ممن لقيته من رجال ونساء وسكت عن كثير ممن لقيته وما جدت لك قدماً معهم ففي أي نمط تتميزين . ثم أرجع إليك يا وليي يا أبا محمد فإني إنما ذكرت لك هؤلاء فرحاً أن الزمان والحمد لله لم يخل من الرجال

الجارين على أسلوب المتقدمين باختلاف أحوالهم فقد ذكرنا منهم ما حصل به المقصود من الفائدة والاختصار ، وأما أنت فلا يتمكن لي أن أخاطبك بأحوالك . ومقصودي بهذه الرسالة إبراز معرفة نفسانية وربانية تحرض على الكلم الطيب والعمل الصالح وإنما الرجل عندنا هو العالم بالله الكادح فأخاطبك يا وليي وأريد والله نفسي أنبهك وأريد أبناء جنسي وعني أكني فلا تعتر النفس عن الذكر فإنها الذليلة ولا تعم عن حظها الإلهي بتصاممها عن هذه الفضيلة .

مسألة : فمن ذلك : ﴿ فذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين ﴾ ، ﴿ وإن في ذلك لآيات للعالمين ﴾ لتعلم أن الله تعالى خلق كل ما سوى الإنسان باليد الواحدة وقد جاء التنبيه عليها في مواضع من الشريعة في جنة عدن أنها خلقها بيده وهنا بحر طامس خلق الأسباب كلها بيده وخلق المسببات أيضاً بيده لكن الأسباب الأول ليست في المرتبة كالأسباب الثانوي إلى آخر سبب وقال في خلقه الأسباب ومسببات الإلهي الخلق والأمر وقال في الأسباب وحدها : ﴿ فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾ ، ﴿ إنما قولنا لشيء إذا أردنا أن نقول له كن فيكون ﴾ فذكر الأمر دون الخلق فآلق بالك لكلامي هذا فإنه عويص وأنا غيور أحب أن أوضح وأحب أن أستر فخلق الملك والجنة وما يتعلق بهذا الجنس من الشرف والرفعة بجانب الطور الأيمن فافهم ما أومئنا إليه من صفة الجمال وخلق إبليس والنار وما يتعلق بهذا الجنس من الوضاعة والسفل بالجانب الغربي من « كلتا يديه يمين » فافهم ما أومئنا إليه من صفة الجلال وتمهدت المملكة باليدين وظهر وجودها في العين على التوحيد المطلق من حيث كل واحد منهم يرجع خلقه إلى يد واحدة فعبد ربه من حقيقته واشتغل بطريقته فلم تتصور معصية ولا مخالفة إلى أن خلق الإنسان بيديه وهداه نجليه وأوضح سبيله وأظهر به كلمتيه وبيان به عن قبضتيه فنظر إلى العالم ونظر إليه العالم في مملكتيه الكبرى والصغرى فعرف كل واحد ما رأى منه لأنه رأى ما يقابله فالساكن من العالم في

الجانب الغربي رأوا أسفله فلم تقدم عندهم قيمته فظهرت في ذلك قبضتهم ليعلموا أنهم أشقى والساكن من العالم في جانب الطور الأيمن رأوا علوه فقامت عندهم عظمته وظهرت في ذلك قبضتهم ليعلموا أنهم سعداء ثم لما كانوا في نور التجريد لم يستطيعوا أن يعرفوا نور التمريج ولما كانت حقيقتهم صادرة عن اليد الواحدة شهدوا لأنفسهم بالتقديس والتحميد ولما رأوا توجه اليدين على الإنسان عرفوا أنه لا بد من المنازعة لإمضاء الحكم وإذا كانت المنازعة فلا بد من الفساد فنظروا حقاً وقالوا صدقاً (صلوات الله عليهم) فأعرض الله عن إجابتهم في نفس كلامهم إعراضاً صحيحاً من جهة جعلهم الكل جزءاً وحكموا عليه بصفة النقص فتركهم الحق وما عدلوا إليه وأراد أن يبين لهم حقيقة ما فطره عليه وأن الإنسان هو القبضة الجامعة للعاصية والطائفة وأن كل العالم على النصف منه فهو أيضاً على النصف من الحضرة الإلهية وأن الإنسان كل فهو على الكل من الحضرة الإلهية فجمع له بين يديه لتكمل صورته وتصح خلافته وتبين مرتبته ويعلم أنه أشرف موجود وأعلى مقصود ولهذا مدحه لمن نظره بعين النقص - ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي - في معرض الثناء فعرض في أدبه بغيره وهو الذي حكم عليه بالفساد وسفك الدماء فما أحسن أدبه عرض في آداب الملائكة بإبليس فطالبهم بعلم الأسماء وجعل الإنسان عالم العلماء وعرض في آداب إبليس بالملائكة بخلقه بيده المقدسة والبيضاء فاتعظ إبليس بأدبه وآداب الملائكة واتعظت الملائكة بأدبهم وآداب إبليس فهؤلاء اتعظوا بإمثال الأمر ففازوا وهذا اتعظ بعد المخالفة فما نفعت موعظته وخسر فلا شيء أنكا على إبليس من ابن آدم في جميع أحواله في صلاته من سجوده لأنها خطيئة فكثرة السجود تحزن الشيطان وطوله وليس الإنسان بمعصوم في صلاته إلا في سجوده فإنه إذا سجد تذكر الشيطان معصيته فحزن فاشتغل عنك بنفسه ولهذا قال (عليه الصلاة والسلام) «إذا سجد ابن آدم اعتزل الشيطان يبرأ يبكي» فالعبد في

سجوده معصوم من الشيطان وليس بمعصوم من النفس فخواطر السجود كلها إما ربانية أو ملكية أو نفسية وليس للشيطان عليه من سبيل وإذا رفع من سجوده غابت تلك الصفة عن إبليس فزال حزنه واشتغل بك ولعل ولي (رضي الله عنه) يقول والنفس أيضاً تزول في السجود والملك يزول ولا يبقى إلا الحق فإنه يقول ﴿واسجد واقترب﴾ فقد صحت القربة بالسجود وفني الساجد بالموجد عن الموجد فأقول له نعم يا ولي ما نظرت وبحالك ومقامك قضيت ونحن إنما نتكلم بما تعطيه الحقائق وكيف ارتبطت الدقائق ولو كان الأمر على ما قاله ولي لكان كل إنسان في سجوده بالله عارفاً ومعه واقفاً فانياً عن الإحساس بعيداً عن الإلتماس ولم يصح منه دعاء ولا ثناء ولا تضرع ولا بكاء فإن التضرع والدعاء نداء على رأس البعد بالحجاب ، والمشاهدة للبهت غير اكتساب فإن وجد ولي مقام البهت في سجوده فتلك حالة لا تطرد حكماً فإن غيره في سجوده يقول رب اغفر لي مغفرة عذبا فهذا مع الملك حتماً وآخر في سجوده يتحدث مع شريكه في دكانه حرباً وسلماً فهذا مع نفسه إما وإما . . رجعنا إلى كلامنا فأضاف الإنسان إلى يديه ووكل أمره إليه وسخر له ما في السموات وما في الأرض وحجبه عن التوكل إليه فظهر الإنسان لنفسه في نفسه إماماً فالسعيد من لازم الباب لرفع الحجاب والشقي من نبذ ذلك الباب وراء ظهره فحسبه جهالة ما جهل من أمره لا ما جهل من غيره ولما قام الإنسان خليفة في الأرض دون السماء لحملها العالمين على السواء فقد جمعت جميع العالم وهي أقل الأجزاء فمن ولي الأرض ولي السماء والنار والماء والهوى ومن ولي السماء فما ولي الأرض وما له من الميزان سوى الرفع وليس له نصيب في الخفض . دليلي على ذلك أيها الولي المالك أن الأرض تحمل الملائكة الكرام وليس السماء يحمل للشياطين ولا لعوالم الأجسام ولهذا كانت الأرض حضرة الخلافة ومنزل الخليفة والسموات فردوس من فراديسه ومنتزه من منتزهاته سرح روحه القدس فإن السماء -

وأعني به العالم العلوي - موجود من الرحمة الخالصة ، وإن الأرض -
وأعني به السفلى - حيث أنزل آدم (ع) بعد - أحسن تقويم - إلى - أسفل
سافلين - موجود من الغضب الخالص فإن قلت فهذه الرحمة الظاهرة
فيها فتلك رحمة الإنسان ولهذا إذا لم يبق إنسان عليها زالت الرحمة
بزواله وتوجه عليها فأعدم عينها وهلك في الهالكين وانتقلت العمارة
إلى الدار الآخرة بانتقال الإنسان فإن قلت وقبل الإنسان قد كانت
الأرض موجودة فذلك لحقيقتين لأن ذلك كان زمان التمهيد للخليفة
والحقيقة الأخرى لحقيقة البرزخية فيها لأنها تشبه العدم لكونها تؤول
إلى الفناء وتشبه دار البقاء لأنها قد وجدت يوماً فهذه النفخة الرحمانية
في الوجود هي التي أمسكها حتى ظهر الإنسان فافهم ولا تقتصر بهذا
على آدم (ع) فحسب فكل صالح من المؤمنين وغيرهم في وجوده قطب
ولم يبق إلا خليفة جائر وخليفة عادل فإما إلى عذاب غير زائل وإما إلى
نعيم طائل ومن هنا وقع الخوف على الخلفاء وأنت وأنا من
جملتهم . . فنرجع إلى نفوسنا في هذه الحالة العمياء ونقيم عليها
ميزان القضاء وأحكم على السواء بمرتبها التي وجدت لها ومنزلتها
العالية السناء فأقول : يا نفس يا برزخا بين الضراء والسرائ اصطفاك
الله دون أهل الأرض والسماء وجمع لك بين يديه إما للشرف الذي لك
عنده أو للإبتلاء ومحال أن يكون الشرف لقبضة الأتقياء وإنما الشرف
فيه موطن في مقابلة الخصماء فلم يبق أن يكون ذلك إلا لمجرد
الإبتلاء قال تعالى : ﴿ خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ ﴾ ولم يقل ليشرفكم
خطاب يشمل جميع المأمورين والأمراء فمن نصب هذا المنصب
وذهب به هذا المذهب كيف يطيب له معاشه أو يستقر به فراشه وهو لا
يدري أي اليدين يحكم عليه وبأي العين من العينين ينظر إليه فواجب
عليك يا وليي محافظة السر والوقت مخافة أن يفاجئك نظرة المقت وأنت
لا تشعر بذلك فتكون عند الناس السعيد وعند الله الشقي الهالك
وحكم الله أمضى وحاكمه أقضى فالويل لمن اغتر ولو بشر والويل كل

الويل لمن اغتر وهو لم يبشر . هذا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) .
الصلب القوي الذي ليس للشيطان عليه سبيل حسب الشيطان أن ينجو
منه نزل القرآن موافقاً لحكمه وأداه أن يقول (لو كشف الغطاء ما أزددت
يقيناً) ما يعرفه من إيمانه وعلمه قد جمع بين العلم والعيان وتبرز في
صدر المشاهدة الأعيان ليس أحد من وقته إلى يوم القيامة يبرز أمامه
ولا يكون في حالة من الأحوال أمامه قد اهتز لموعظة أويس القرني خير
التابعين همة وقال ما أداه إليه كشفه وعلمه المعصوم : ليت عمر لم
تلده أمه ، فكيف ينبغي أن أقول أنت وأنا إلى متى هذه القبيحة على
الله تعالى أما أن لنا أن نرجع أما حان لنا أن نرعو ونقلع وقد دعينا
بالعارفين بالله ونحن في حزب إنا لله أترضى لنفسك أن تكون صاحب
حال فيحكم عليك هواك وتغلب عليك دنياك ويلتبس أن ذلك من
مولاك هلا أقمنا عليها ميزان العدل وطالبناها بصحة النقل فإنها لا تخلو
في إتساعها في دنياها بعد ضيقها وراحتها بعد جهدها من أحد أمرين
إما أن تكون في ذلك تستر مقامها عن الناظرين وتعمى مكانتها عن أبناء
الدنيا المفتكين وتصول بذلك على المترفين وتسعى في الكسب حتى
لا يكون عليها يد لأحد من المحجوبين فإن كان هذا فياجهل هذه
النفس ويا حسرتها فلا حال لها ولا مقام عظمت الدنيا وأبناؤها في
عينها فصادمتهم وقابلتهم وأين هي من جناح البعوضة ومن تشبيه النبوة
لها بالمزبلة والجيفة إلى هذا بلغت منزلة هذه النفس الركيكة مع
دعواها أنها السيدة الملكية إن كنت تقول الحق وعزمت على مصادمة
الدنيا ومنازعة أبنائها فاستند إلى الحق في خرق العوائد فإن الناس
كلهم ينفقون من الجيب وصاحب الحال إنما ينفق من الغيب فإذا رأيت
نفسك تحيد عن ذلك فلا تغالط وكن لها المجاهد والمرابط ولا يغرنك
حالة طرأت عليك في بدايتك وافقت وقت صدق منك فتخيل أنها
أبقيت عليك والعادة طبيعة خامسة وما عسى الدنيا وأبناؤها حتى
تشاركهم فيها وتقول أرى أن لا يأكلوا عندي ولا آكل عندهم ولا

يزوروني ولا أزورهم : كل ذلك حظ نفساني وتلبس شيطاني فإن كنت
عبدت الله لتعبك ، فقد حصل لك أجرك في الدنيا ، وساء منقلبك في
العقبى ، وإن كنت عبدت الله لحظ نفسك في الآجل إما لكونها عبداً
فتحشر مع النبيين وإما لكونها أجيّزت الحسنة بعشر أمثالها فتحشر مع
المؤمنين فأزور ، وأزار وأقصد وأقصد ، وهذا حال النبي (ص) كان
يزور ويزار ويحمل الكل ويعين الضعيف ويقري الضيف ولا يبيت على
معلوم ولا يجزع من الفقر . ألا إن الفقير العارف من لا يبكي غده من
أجل رزقه فكيف من أجل خلقه وبهذا تغالط النفس فتقول إنما أمسك
هذا الشيء في حق الغير لا في حق نفسي قال الله تعالى يكذبها : ﴿
ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ﴾ * إن الله هو الرزاق ﴿
ومحال أن الله يطعم فلم يبق إلا أن يطعم من أجله ، فمنع من ذلك
السادات الكبراء وأبقى في حالة العامة الضعفاء ونفسي تدعى الخروج
عن العامة فقد لزمها أن تخرج من السعي والإدخار في حق الغير ، فإنه
شرك محض ، وطعن في القدرة كما أن المتسبب إذا لم يقدر على
الجلوس مع الله مطعون في إيمانه فهذا هو الأمر الواحد من الأمرين
فقد بطل دعواها فيه في اتساعها في الدنيا بعد تضيقها وإن كان يريد
الإنصاف من نفسه وهو عند الأكابر مقام نازل ولكن لهذا أن يفعله فإنه
ليس من الأكابر حيث رأى للدنيا وأبنائها حظاً وقدرأً فيصول عليهم
ويتعزز هلا شغلته عبوديته مع عزة الله عن عزته مع ذلة الخلق ، ولقد
فاته حظه من الله - نسأل الله جميل العاقبة - وأن يطعم الخلق ولا يأكل
منه ألبته فإن أكل فلنفسه سعي ولها أدخر . وأما الأمر الآخر الذي
وسعت به النفس عليها بعد تضيقها فهو أن يتخيل أن ذلك لا يؤثر في
مقامها ولا ينقص لها من مكانتها ولما كانت غير عاملة للشواب وإنما
عملت للعبودية فلا تبال في أي واد مرّ بها إذا صح حالها مع الله ،
وليس ثم أمر ثالث والحمد لله . فإن كانت فعلته لهذا فلا تشك أصلاً
في جهلها وتغريها في نفسها لوجوه كثيرة تدل على جهالتها منها جهلها

بالموطن حيث عاملته بما لا يليق به فإن «لدينا سجن المؤمن» وهي سجن المؤمنين وأنت تدعي أنك فوق الإيمان وأنا ما أسلمه ولكن صاحب السجن قد أرسلك اليه وأدخلك مع المؤمنين وسجنك معهم بما حجره عليك فلا تقرر أن تشرب خمرأً ولا أن تكذب في حديث ولا أن تخلف وعداً ولا أن تحلف فاجراً ولا أن تنكح خمس حرائر وتوجه عليك ما توجه عليك مثل المؤمنين المسجونين فالحكيم يتنبه ويعرف أن ذلك موطن التكليف وقد لزمه ما لم يكن لزمه وهو خارج السجن فيقول هل هنا أحد من حضرة الملك من طوري وممن هو أرفع مني ، فيجد الأولياء والأنبياء والمرسلين فيقول لنا فيهم اقتداء وأنا منهم وهذا أكبر الدعاوي وأنا أسلمها وبهذا أمر الله نبيه أفضل الخلق فذكر الأنبياء وما أعطاهم ثم قال له : ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾ فتنظر في حال الأنبياء فتجد سيدهم وإمامهم أختار الفقر على الغنى والذل على العز للمؤمنين وقد خيره حين نزل عليه إسرافيل فقال «إن الله خيرك إن شئت نبياً عبداً وإن شئت نبياً ملكاً فأشار إليه جبريل أن تواضع فقال نبياً عبداً» قال (عليه الصلاة والسلام) لو قلت نبياً ملكاً لسارت معي الجبال ذهباً وفضة فأعطته المعرفة والهمة حين أشار إليه شيخه بالأولى تمنى العبودية فلأزم الفقر والذلة والخضوع حتى كان يشد الحجارة على بطنه من الجوع فهلا اقتدا بهم هذا الشخص ولا يذهب طبياته في حياته الدنيا ولو علم أن المراتب في الجنة على قدر المراتب عند الله لسعى لنفسه ولعقله وكان من الملوك في الجنة وعند الله تعالى ولا كان يتكل على معرفته ويقول بكمال عقله ويجنح إلى الراحة ويكب على الشهوات ويتنعم في لين الثياب ولذيذ الطعام والشراب وأخوه المؤمن لا يجد ما يأكل فيقال له واسه فيقول حتى يخطر لي ، ما ألقى الله عندي فيه شيئاً ، ما أجهله بخاطر من الحق إنما يفعل العارفون ذلك فيمن لم تبد منه حاجة ويظهر عليه الغنى وهو فقير فيخطر للعارف أنه فقير وهو كشف وإما من ظهر حاله وبانت فاقتته فهي الخاطر الذي أعطاك الله فيه وأنت لا تشعر وهي أقوى

حجة عليك فلا تغتر يا من زاحم الأنبياء بجهله : - سليمان ويوسف (عليهما السلام) - ولا بقوله تعالى : ﴿ هذا عطاؤنا فأمّن أو أمسك بغير حساب ﴾ وأنا أقول مثل ذلك في العارف الذي يرى يده عارية في المنع والعطاء وأن الحساب عنه مرفوع ولكن المواطن تعطيه أنه إذا كسب الدنيا أنه يتأخر عن درجة الذي لم يكتسب ضرورة في الشفاعة وفي دخول الجنة وفي المنزلة عند الله وفي الدنيا فإن الغني يزور الزاهد والأمرء الصادقون يزورون الفقراء الصادقين وهنا سر عال أخاف من الفتنة في كشفه وإذاعته فسترته رحمة للعالم حكمت علينا به الحقائق يؤيده من الأخبار « ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي » هذا باب بالفقير يدعو إلى السكون كسر فقاره فابحث عن السر ولا تفشه ولا تعتمد ولا تجعل حقيقة تحكم عليك فالموطن لا يعطيه ولا تترك حقائق حكمة كثيرة يعطي استعمالها سعادة لحقيقة واحدة يعطي استعمالها إما شقاوة وأما نقصاً في المرتبة ، فالله الله عليها كن لها كتوماً إن وقفت عليها وقد نبهتك على طرف منها والله المستعان ، ويكفي هذا المقدار من الوجوه الذي يحتمله هذا الأمر الآخر فهذا الإبتلاء الذي ذكرناه يوجب علينا الجد والاجتهاد والتجرد عن الدنيا وأسبابها والتفرغ للعبادة كما كان الأولياء والسادة النجباء مثل أبي بكر وغيره وقد مشى طرف من أخبارهم في أول هذه الرسالة وأما إن لم تنظر في خلقه لك بيديه ابتداء ونظرته شرفاً ورفعة وهو نظر جهل كما حمل الأمانة لحقيقته ولم يحملها غيره ولكن قيل فيه - ظلوماً جهولاً - فلو حملها جبراً لما نسب إليه الظلم والجهل ولما حملها اختياراً نسب إليه ذلك فاعلم هذا وأنا أسلم لنفسي هذا الجهل وأقول لها إنما خلقتك بيديه لشرفك على جميع الموجودات وجعلك إنساناً ولم يجعلك ملكاً ولا شيطاناً فاتصلت على النصف من المعرفة أنظري يا نفس إلى حال من خلقت نشأته على نصف المعرفة قال الله فيهم : ﴿ يسبحون الليل والنهار لا يفترون ﴾ ﴿ يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾

﴿لَا يَعصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ﴾ هذا شكرهم على معرفتهم وهي نصف المعرفة وأنت قد أنشئت من مقام المعرفة بكمالها والصورة الإحاطية والاستخلاف الإلهي فكان ينبغي أن يكون شكرك أتم من شكرهم وزكائك أعظم من زكاتهم لأن معرفتك كلية فكان الأولى بك أن تقوم الركعة الواحدة مقام عبادة أهل السموات والأرض فيإياك أن تحجب نفسك بأن تقول يا أخي : كاتب هذه الرسالة ما عرف مقامي ولا من أنا فما قصدتك بالكلام وإنما تكلمت على ما تقتضيه الحقائق وحصرتها حصراً إحاطياً وكشفتها كشفاً اعتصامياً لم يبق ملك ولا رسول ولا نبي ولا ولي ولا أحد إلا دخل في هذا الحصر ، فلا بد أن تكون يا قاريء هذه الرسالة واحداً من هؤلاء الأقسام والطبقات وأدعى فيمن شب فقد سلمت لك ولو أدعيت الملكية وحدها أو الرسالة أو النبوة أو ما أدعيته : الحقائق تحكم عليك قسراً وتردك إلى العبودية وإلى الموطن إن عصمت ، وإن خذلت عصمت عن الحقائق واستعجلت الآجلة وأجلت العاجلة وجعلت غيرك المحجوب وأنت العاقل عن الله المصيب ، فإذا انقلبت وجدت عملك هباءً متشوراً وطردتك الحقائق السعادية عن بابها وقالت لا أعرفك فإنك ما صاحبتي في الدنيا ولا تعرفت إلي ودعاك خيالك الفاسد القاصر فرمى بك في سواء الجحيم فكيفما نظرت في خلق الحق لك بيديه : إن كان إبتلاء فلا بد من الجذر والوزن مخافة النقص والتطفيف وإن كان شرفاً ورفعة فلا بد من الجد والاجتهاد في الشكر كما قال (عليه الصلاة والسلام) «لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيراً ولضحكتكم قليلاً» وكما قال بعض العارفين وقد رأوا صوفياً يضحك ملاً فيه لا يخلو أن تكون بشرت بسعادتك أم لا فإن كنت لم تأمن فما هذه حالة الخائفين وإن كنت أمنت فما هذه حالة الشاكرين فقد ناط به الذم من الطرفين في ضحكك فكيف لو رآه متنعماً مترفاً ويجمع ويدخر ويمنى نفسه بالغرور وقد تقدم حديث سلمان الفارسي في وقت ذكره لما فتح الله به على بعض الصحابة والتابعين

من كنوز كسرى وقيصر وإن الله ما أختار لنبيه الدنيا بل اصطفاه فقيراً لا بيت على معلوم في البيت حتى مات وأشباه ذلك ، فأياك يا وليي والمغالطة فإن الناقد بصير وإليه تصير الأمور وقد مضت العبارات وما بقيت إلا تسبيحات فلا يغتر العالم بعلمه ما لم يستعمله ولا يغتر باستعماله ما لم يخلص ولا يغتر بإخلاصه ما لم يفن عنه . هذه مسألة من تحقق بها وبمعانيها لم يسكن له جأش ولا يطيب له عيش يشتغله شأنه عن كل شأن لما يؤول إليه حاله فإن قوارع القرآن تزعج العاقل اللبيب وتنغص حياة الفطن المصيب مثل قوله تعالى : ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون﴾ وقوله : ﴿أيحسب الإنسان أن يترك سدى﴾ وقوله تعالى : ﴿سنفرغ لكم أيها الثقلان﴾ وأمثال هذه القوارع والزواجر المتلوة في المحاريب والمحاضرة تفرع أسماعنا آناء الليل وأطراف النهار ، فلا معرفة ثابتة في القلوب فيردعنا الحياء ولا خوف فيكفيننا الوعيد والتقرير فلا ندري في أي نمط نتميز ولا بأي فرقة نلحق نسأل الله لنا ولكم وللمسلمين وفي جميع الأحوال هنا وعند الموت وفي المال العاقبة . ومما يحض العقل السليم على الاجتهاد ويحول بين جفنه وبين الرقاد نظره في النعم المترادفة عليه إذا حققها وذلك يا وليي (أبقاك الله تعالى) إن أول نعمة عقلتها من ربك إخراجك من العدم إلى الوجود وقد عدد هذا المقام عليك من جملة نعمه فقال : ﴿أو لا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً﴾ ثم خاطب بهذا المقام الخاصة الرفيعة من عباده الذين نحن اتباع لهم فقال لنبيه زكريا (ع) في وقت تعجبه من قدرة الله تعالى على حكم العبادة في إيجاد ابنه يحيى (ع) : ﴿وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً﴾ فأياك أن تتوهم أن هذا الخطاب لزكريا في حق نفسه لا بطلال المعنى فيه فإن خلق ابن آدم أعجب من خلقه في حكم العادة لأن زكريا (ع) قد أظهر العلة فلو أحاله على خلق نفسه لما أتاه بأعجب مما تعجب منه وإنما أشار إليه بذلك أن ينظر في أول موجود وهي الحقيقة الإنسانية قبل كل شيء وهي أم الأشياء كلها ، وليست من شيء وهي

سبب كل شيء ، وليست مسببة عن شيء ، ولهذا قال له : ﴿ولم تك شيئاً﴾ فإن هذا الخلق الترابي الآدمي مسبب عن أشياء نبه عليها (عليه الصلاة والسلام) بقوله : «كنت نبياً وآدم بين الماء والطين» ولا يكون العدم بين أمرين موجودين لانحصاره ، وأوصوف لا يوصف بالحصار في شيء وقال الله تعالى في خلق الجسد الآدمي ﴿خلقكم من تراب﴾ ثم طين وهو خلط الماء بالتراب وقال ﴿من حمأ مسنون﴾ وهو المتغير الريح وهو جزء الهواء وقال ﴿من صلصال كالفخار﴾ وهو جزء النار فهذه أمهات الجسد الآدمي وهي كثيرة فلا يصح على هذا قوله : ﴿ولم تك شيئاً﴾ فإنه قد كان شيئاً وانتقل في أطوار العالم من شكل إلى شكل حتى صار على هذه الصفة ، وكذلك قال في جسد ابن آدم كما قال في الجسد الآدمي من توقفه على شيء وأن أصله ذلك الشيء ، والصورة في عرض فيه فقال : ﴿فلينظر الإنسان مم خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب﴾ وإياك أن تقول في وقت كذا كذا لم تكن كذا وقد نبه تعالى على أنك هو ذاك وأن أصل جسمانيتك من شيء فقال : ﴿ولقد خلقنا الإنسان من تراب﴾ وهو الأب إن شئت ﴿ثم من نطفة﴾ وهي الابن ﴿ثم من علقة﴾ تميز في طور آخر ﴿ثم من مضغة﴾ تميز آخر في طور آخر ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين﴾ فجعلك من شيء وهذا طور ﴿ثم جعلناه نطفة في قرار مكين﴾ هذا طور آخر ﴿ثم خلقنا النطفة علقة﴾ هذا طور آخر وكله الإنسان ﴿فخلقنا العلقة مضغة﴾ هذا طور آخر ﴿فخلقنا المضغة عظاماً﴾ هذا طور آخر ﴿فكسونا العظام لحماً﴾ هذا طور آخر ﴿ثم أنشأناه خلقاً آخر﴾ هذا طور آخر ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ أثني على نفسه يعلمك صورة الثناء عليه لشكره لا لتكفره وهذا كله إنما ذكره ليعدد نعمه التي أختصك بها وحباك وهذه كلها أشياء علق وجود بعضها على بعض فقله على ما تعطيه الحقائق ويعظم التعجب عند زكريا (ع) : ﴿وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً﴾ إنما يشير إلى

البروز الأول من غير شيء لأن زكريا (ع) إنما تعجب من بشراه له تعالى بيجي على كبره وامراته عاقر ، فذكر له ما هو أعجب من ذلك وهو إخراج الشيء من العدم إلى الوجود فإن النقلة في مراتب الوجود من وجود إلى وجود باختلاف الأحوال أهون من إبراز المعدوم ، فلهذا كان أعجب مما تعجب منه زكريا ومن هذا تعجبت امرأة إبراهيم (ع) حين بشرت بإسحاق (ع) فقالت : ﴿يا ويلتي ألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخاً إن هذا لشيء عجيب﴾ وهذا يا ولي إذا نظرت من الأسرار العجيبة فتنبه له وعسى أن تعثر على الفصل بينهما وذلك أن الله قد أخبرنا عن زكريا (ع) بما أخبرنا عن امرأة إبراهيم (ع) فبشرك بين المرأة والرجل في هذا التعجب وبشرك بينهما في العلم لأن التعجب على قدر العلم ومعلوم فضل الرجل على المرأة في الميراث والشهادة والصوم والصلاة ﴿وللرجال عليهن درجة﴾ وهذه المسألة مسألة مفرعة لتعلقها بباب المعرفة وقد أشرك فيها نبي الله زكريا (ع) وامرأة وليست بكاملة فحقق خاطرك يا ولي في هذه المسألة عسى تعثر عليها وكنت أذكر لك وجه الفصل بينهما وأبينه وأكفي رأيتك تحب أن تأخذ العلم من ربك فناديت معك وأبقيتها مهمة قال الله تعالى جواباً لزكريا (ع) : ﴿وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً﴾ وقال تعالى جواباً لامرأة إبراهيم (ع) : ﴿أتعجبين من أمر الله﴾ ولوحنا لك وألقيناك على الطريق فادرج عليه فإن ما بينك وبين العلم إلا كلمة واحدة وهذا غاية ما قدرنا عليه في حقك من تقريب المسألة إلى هذا ، وسترناها خلف حجاب واحد رقيق والخطاب على قدر العقل فانظريا ولي أول نعمة أنعم بها عليك لو كلفك الله شكر هذه النعمة وحدها وجعل معك أهل السموات والأرض بعبادتهم مؤيدين لك عمرك الآخروي الذي لا نهاية له ما قمت بشكرها ، كيف وقد انضاف إليها نعم كثيرة غيرها ثم طالبك في الشكر والعبادة على قدر استطاعتك خاصة ، فأبيت الإنصاف وتكاسلت وتخاذلت وتعاميت وتصاممت ما هذا ممن يدعي العقل والمعرفة

بحسن . إنما يقع الاعتراف بالتقصير بما ينبغي لجلال الحضرة من الاجتهاد بعد بذل المجهود ، وإياك وشطحة من شطح السكر غلب عليه فقال إني أغار على جمال القديم أن يراه المحدث من تدنيس رؤيته فهذه كلمة ليس لها مدخل في الرجولية وإنما هي شطحة من صورة وقف القائل معها تردها الحقائق أو تغتر أيضاً بقول القائل : «من ظن أنه بالجهد يصل فهو متعن» فقد قال هذا أيضاً «ومن ظن أنه يصل بغير الجهد فهو متمن» فقد أشار إلى ما ندبناك إليه ببذل المجهود وصحة القصد ولا وصول إلا برحمة الله قال الله تعالى في المتمني : ﴿وغيرتكم الأمانى﴾ فذمه وقال في المتعني : ﴿فتنعم أجر العاملين﴾ * والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾ فمدح المتعني فإن كان ولا بد فالتعني أولى وإن استطعت الدعوى مع وجود التعني وعدم الالتفات إلى نتائجه إنما يكون خالياً من جميع أعماله وهو فيها متعرض لنفحة من اجتهاد نفحات الربوبية لأن العبادات بحكم التسخير إنما هي للفقهاء العامة الذين أعماهم الله عن الحقائق فقليل لهم قدموا لتجدوا وهؤلاء هم الجهال عندنا وعليهم توجه التكليف مطابقاً لاسمه فيدخل عليهم في أداء العبادة من الكلفة والمشقة ما لا يعلمه إلا الله وذلك لعدم معرفتهم بمعبودهم واشتغالهم بشهوات نفوسهم وحفظها عاجلة وآجلة وأما هذه الصوفية المحققون فعبادتهم لا بحكم التسخير لكن من طريق الشكر بشهادة الغنى على ملاحظة العمل ونتائجه فلم يقدموا أعمالهم ليجدوها ويلحقوا بها وإنما عملوا لأن السيد قال لهم اعملوا ، فلم العمل والطرح ، وللسيد إن شاء القبول وإن شاء الرد فهؤلاء توجه عليهم بالتكليف وارتفع عنهم معناه أي ما فيه من الكلفة والمشقة لقوة معرفتهم بمعبودهم واشتغالهم بحقوق معبودهم عن حقوق نفوسهم فلم يتصور لهم أن يطلبوا أجراً إنما هو في كل نفس معان فيما كلف في ذلك فهو يجني والباري تعالى يدخر له ، والفقير الضعيف الجاهل صاحب علم الرسوم الذي قد ختم الله على قلبه بشهواته فتراه يلتفت

يميناً وشمالاً في صلاته ويحرم الإمام ويبقى هو بعده بقدر ركعة في حضور نيته للصلاة لكثرة شغله عنها بهذيانه ودنياه وكثرة غفلاته ثم يكرر التكبير مرتين وثلاثاً وأربعاً في النية لعدم صفاء قلبه وترادف ظلماته فإذا سهل الله عليه وأدى ما كلفه الله تعالى فهذه حالة المجتهد الحازم وساق هذه الجناية المسودة الوجه بعدم الحضور فيها مع الله تعالى وسوء ظنه برّبه كيف يكون له ذلك العمل مدخراً عند الله تعالى حتى يجده عنده لعدم تطلعه إلى فضل الله عليه فيه فيجنىح إلى عمله وهذه كلها علالات فاسدة ولكن كما قال الله تعالى : ﴿وقد خلقكم أطواراً﴾ فلذلك أكثر الشريعة تجري عليهم رحمة بهم لضعفهم وهم في عماية عن ذلك بل من عظيم جهلهم أنهم ما عقلوا عن الله رحمة هذه بهم وتخيّلوا أنهم إذا فعلوا هذا واقتصروا عليه أنه لا شيء أعلا منه والخلق دونه لحفظه الحديث والفقه ويُقال له يا فقيه ما تقول في رجل حلف على كذا فيحكم فيها بحكم الله المشروع ويحجبه عن ذلك المنصب عن القلب المختوم عليه بحب الدنيا وتعظيمها ونظره الفقراء وأولياء الله تعالى بعين الازدراء والجهل لكونهم لا يعرفون مسائل العتق والطلاق والنكاح فهم الغمر الجهلاء ، فهذا وأشباههم حجبه عن الله وطردهم عن بابه وما زالت الفقهاء في كل زمان مع المحققين بمنزلة الفراعنة مع النبيين .

ثم ننقل يا وليي إلى الأم الثانية من هذه النعم الثانية وهي أن تنظر إلى كونه أوجدك متغذياً نامياً ولم يجعلك جماداً صلباً وإن كانت الحجارة والجمادات عندنا على خلاف ما يراها الناس كما قال الله تعالى : ﴿وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله﴾ فوصفها بالخشية وغيرها وقال تعالى : ﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله﴾ وقال تعالى : ﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها﴾ وقال تعالى

للسماوات والأرض : ﴿إِثْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالا أَتِنا طائِعِنا﴾ وقال :
﴿يا جِبال أوبي معه﴾ أي رجعي معه التسبيح وسيري معه وقال :
﴿فسخرنا له الرِيح تجري بأمره﴾ وقال (عليه الصلاة والسلام) : «إني
لأعرف حجراً كان يسلم علي» وقال في أحد : «هذا جبل يحبنا ونحبه»
وقال موسى (ع) : «ثوبي حجر ثوبي حجر» يناديه وسبح الحصى في
كفه وما أشبه ذلك فالجمادات عندنا عالمة بالله تعالى ناطقة به في
عالمها وهي على حسب أفقها وفلكها ولها نذير من جنسها وهي عندنا
أمة من الأمم قد فضل الله بعضها على بعض فكانت القدرة ممكنة لما
أوجدتك ولم تك شيئاً أن تنزلك في أمة الجمادات ولكن مقام النبات
أعلى وأتمه أفضل فجعلك متغذاً نامياً ولم يجعلك جماداً وهذه نعمة
كبيرة لا يؤدي شكرها ولا يقدر قدرها فاجتهد عافاك الله جهدك فإنك
مسؤول على قدر معرفتك وتدقيقك فإن العوام ما تسئل عن هذه النعم
التي ذكرناها ونسأل نحن عنها فسؤالنا أشد فينبغي أن يكون عملنا أتم
ولا تكن يا ولي كقوم رأيتهم فأبنت لهم ما الله عليهم من النعم
ليجتهدوا وأمرتهم بما أمرتك وأمرت به نفسي فأبوا قبول ذلك وقالوا - كل
واحد منهم لما أراد الله خذلانه - : إن العبد لا يفي أبداً بشكر نعمة
واحدة مما أنعم الله به عليه فكيف أن تستغرقها فالتعني لا فائدة له
فقلت صدقتم في أن أحداً لا يفي بشكر الله تعالى فإن الشكر منه على
النعمة نعمة ولنا في هذه المعرفة ذراع أطول من ذراعكم وأزيد مما
عرفتموه ولو عرفتموه ما عبدتم الله أبداً مما ترون من الحقائق ، وأنتم
قاصرون ، ولكن ينبغي للعبد أن يبذل الطاقة التي أعطاه الله تعالى في
مرضاته على الاستبقاء فإذا لم يبق له اتساع حينئذ يقول إنه لا يفي وإن
ذلك عقد في القلب والجوارح تنصرف بالأعمال فإياك والبطالة فقد
تقدمك النبيون والمرسلون والملا الأعلى من الملائكة ، والعارفون
وصالحوا المؤمنين بالاجتهاد والكد مع صحة التوحيد والمعرفة والقصد
وما قال بقولك هذا إلا الإباحية والمنحلة عقائدهم الذين قالوا بإسقاط

الأعمان نسأل الله لنا ولكم وللمسلمين العصمة في الحال والمآل . ثم زادك الله نعمة على هذه النعمة بأن نقلك من أمة النبات والشجر الى أمة الحيوان فجعلت حساساً فوجب عليك من الشكر والعبادة ما وجب على الجماد والنبات والحيوان فإنك قد جمعت حقائقهم وزدت على كل واحد منهم فينبغي لك أن تعمل على كشف عبادة العالم سفله وعلوه وما هم فيه فتأخذ نفسك بعبادة كل طائفة منهم فإنك مشارك لهم في حقيقتهم ولهذا أنت الأم الجامعة لحقائقهم ، ثم إنه ما منها من أمة من الجماد والنبات والحيوان وغير ذلك إلا ولهم عبادتان عبادة تعم الأمة كلها وعبادة تخص أحاد الأمة كما قال تعالى : ﴿ وما منا إلا له مقام معلوم ﴾ فهذه عبادة الأشخاص على الأفراد وأنا لا أطلبك بعبادة الأشخاص وإنما أطلبك بالعبادة التي يشترك فيها جنس تلك الأمة وإنما يتوجه عليك عبادة أشخاصها وإذا أوقفك الحق مع واحد منها فحينئذ وفي جملة أشياخنا الذين انتفعنا بهم في طريق الآخرة في هذه الأمم ميزاب رأيت في مدينة فاس في حائط ينزل منه ماء السطح مثل ميزاب الكعبة فوقفت على عبادته واجهدت نفسي عسى أجري معهم في ذلك ومنهم ظلي الممتد من شخصي أخذت منه عبادتين قد أخذ نفسه بها وأشبه ذلك وأما الحيوانات فلنا منهم شيوخ ومن جملة شيوخنا الذين اعتمدت عليهم الفرس فإن عبادته عجيبة والباري والهرة والكلب والفهد والنحلة وغير ذلك فما قدرت قط أن أتصف بعبادتهم على حد ما هم عليها وغايتي أن أقدر على ذلك في وقت دون وقت وهم في كل لحظة مع اعتقادهم بسيادتي عليهم يوبخوني ويعتبونني ولقد ألقى منهم شدة لما يرونه من نقص حالي في عبادتهم وربما يغتاظ بعضهم علي حتى تحجبه غيرته في دين الله تعالى من أجل تقصيري فيهم ويغيب عن سيادتي عليه لمعصيتي وسوء معاملتي مع الله فتزول طاعتي من عليهم وأعذرهم في ذلك وأسلم لهم في إخلاصهم فإن أبا بكر (رضي الله عنه) قد قال لما ولي الخلافة «أطيعوني ما أطعت الله ورسوله

فإذا عصيت فلا طاعة لي عليكم» وقال الحق فينبغي لك يا وليي إذا
 آذاك حيوان من الحيوانات من كلب أو دابة أو حنش وغير ذلك من
 الأمة الحيوانية أو آذاك عود من شجرة أو ورقة من الأمة النباتية أو آذاك
 حجر بأن تعثر فيه أو يسقط عليك حائط أو يرميه صبي واحد على شيء
 فيترك الحجر المشي لما رمي له وينصرف إليك فلا تغضب وانصف
 وارجع مع نفسك على حالك وأقم عليها ميزان العدل فيما كلفك الله
 من مراقبته والحضور معه فلا بد ضرورة أن نجد قصوراً أو تفريطاً فيك
 في العبادة التي توجهت عليك مما تعبد به . ذلك الذي آذاك من
 حيوان أو نبات أو حجر فاستغفر الله وتب واخلص واعزم على أن لا
 تعود فإنه يذهب عنك ذلك الألم من حينه فإن تقويت خاطبك ذلك
 الذي آذاك فتسمى كرامة ، وليست الكرامة على الحقيقة إلا لتنبيهك
 لهذا وتوبتك وهروبك إلى مواطن الموافقة فلا يغرنك يا وليي قوله
 تعالى : ﴿وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه﴾ لم
 يقل فعلت ذلك ليسعدكم ولا أيضاً ليشقيكم فبقيت على قدم الحذر
 والغرور واقفاً فتحفظ فإنها آية فتنة يضل بها من يشاء ويهدي من يشاء
 قال كلیم الله موسى (ع) : ﴿إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء
 وتهدي من تشاء﴾ فلا يغرنك رفعتك على جميع الموجودات من جهة
 الحقائق التي أنشأت عليها علواً وسفلاً فإنها ليست برفعة إلهية وإنما
 هي رفعة تعطىها الحقائق لا تعصم من نار ولا تدخل نعيماً ولا يدخل
 بها أهل الجنة في جنتهم وأهل النار في نارهم فلا فائدة فيها ولا
 سلطان لها على السعادة وبها زلت أقدام أكثر أهل هذه الطريقة وهي
 التي أخرجتهم عن الشريعة وإنما يغتر الإنسان بالرفعة الإلهية
 الاختصاصية الصفاتية الزائدة على الإنسانية وهي قوله تعالى : ﴿أولئك
 كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه﴾ على ذلك عول أئمتنا
 وساداتنا من المعصومين الأنبياء والمحفوظين الأولياء وما ثم من يقتدي
 به إلا هؤلاء ، قال الله تعالى : ﴿فبهدهم اقتده﴾ وقال تعالى : ﴿ثم

أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً ﴿ فهذه نعمة يجب عليك نظر قوي فيها ثم زادك الله تبارك وتعالى نعمة أخرى إلى هذه النعم فجعلك ناطقاً وفضلك على الحيوان الحساس خاصة فزدت معرفة بما يعرفه الحيوان فتزداد عبادة واجتهاداً على حسب الطور الذي انتقلت إليه وهنا عليك نعمتان كبيرتان النعمة الواحدة بأن أعطاك بنطقك حقيقة الملك وهو الاشتراك في العقل الإلهي فوجب عليك ما وجب على الملك من جهة روحك وقد سمعت بعبادة الملائكة التي أخبرنا الله بها على مراتبهم وقد دخلت أنت بعقلك معهم فتوجه عليك في روحك العقلي وسرك اللطيف الملكي ما توجه على الملك فأنت مطالب بالحضور الدائم وشاركت النازلين عنك من عالم الأجسام جمادهم ونباتهم وحيوانهم في حقائقهم التي لم يشاركهم فيها ملك فتوجهت عليك كما ذكرناه عبادتهم فكل عبد لله مطلوب في العبادة بما تقتضيه حقيقته فالملك مطلوب في عبادته بحقيقته ما عليه مزيد والحساس مطلوب بثلاث حقائق بحقيقة انفصاله من النبات والجماد وبحقيقتي اشتراكه مع عالم النبات والجماد ، وعالم النبات مطلوب بحقيقتين حقيقته التي انفصل بها عن الجماد وحقيقة اشتراكه مع عالم الجماد ، وعالم الجماد مطلوب في عبادته بحقيقته ، فإنه لا شيء أرفع منه ، ولهذا أبدأ يقابل العلو السفلي والأول الآخر والشيء نقيضه أبدأ وأنت يا وليي الذي هو الإنسان مطلوب في عبادتك هذه بخمس حقائق حقيقة الملك فإنها فيك وحقيقة الحساس وحقيقة النبات وحقيقة الجماد وحقيقة الجمعية لهذه ، فإذا وفيت بشكر هذه الحقائق وتأيدت بها وعبدت الله على مقدار ما أعطاك من التمكين في الكشف من معرفتها إن كنت مريداً صادقاً بعد هذا تنتقل إلى أول قدم من ظاهر الشريعة ولا تقل إنك أرفع من الجماد ولا أشرف من الملك ولا أخط منه فإنك في طور آخر مفرد يخصك وذلك أن الله قد وهبك سر الجمعية العامة وهو الذي حجبك عن عبوديتك وبه ترأست حتى قيل في الملائكة ﴿ بل عباد مكرمون ﴾

فإنهم ما ترأسوا قط لعدم الجمعية العامة الكبريائية إلا من حقائقهم فكانوا عبيداً وكذلك من نزل عنهم من طبقات العوالم إلا أنت فإن سر الجمعية الكبريائية مثبت فيك وبهذا صبح لك مقام الخلافة على العوالم وبه طلبت التقدم والرئاسة واحتجبت عن الله تعالى وهو قوله «وأعوذ بك منك» فإن سر الجمعية العامة الكبريائية هو الذي حجبك عنه تعالى ولو أبقاك كما أبقي العالم معرى عنه لكنت عبداً فنبه نفسك ولما علم سبحانه أن سر الألوهية في الإنسان داء عضال كثر الأدوية فيه فما زال ينبهك في كتابه العزيز على أدويتك لهذا الداء لتستعملها فتبرأ منه فقال : ﴿أو لا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً﴾ فهذه حقيقتك الملكية وفي هذه الآية لم تنزل الملائكة وقال الله : ﴿الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة﴾ فالضعف الأول بحكم التحقيق لا بحكم التفسير خلقه إياك علي عني فطرة العالم كله والقوة نفحة سر الجمعية العامة الكبريائية فيك بعد تسويتك ، والضعف الثاني والشيبة هو ما حصل لك من شرب دواء المعرفة الذي أعطاك فاستعملته وبهذا تقع الفائدة فليست من نمط العالم في شيء ولا تتميز معهم ألبته فإنك انفصلت عنهم بسر الألوهية فإن استعملته ولم تشرب من هذه الأدوية شيئاً خرجت مع فرعون والنمرود وكل من ادعى الربوبية على قدره من كلمة فرعون إلى قول الإنسان لولا ما قلت له كذا لا تفق كذا لولا أنا لهلك العيال وهي أدنى المراتب في الألوهية حتى الشيخ في هذه الطريقة يقول لولا همتي في فلان ما أصبحته إياها وإلا فقد كان هلك وهذه كلها علل وأمراض من سر الألوهية وكل واحد من هذه الأصناف معاقب على قدره إما بالعقوبة الكبرى وإما بنقص الحظ فلا بد من العقوبة ولهذا يعلو البقاء عندنا على الفناء وهذه حقيقة لم يشعر بها من تقدم من أصحابنا فاعرفها يا وليي فإذا لم يتميز الإنسان مع العالم لسر الجمعية الكبريائية فلا يُقال من أشرف الملك أو الإنسان فصار الإنسان يزاحم الألوهية لوقوفه على الأسماء كلها من جهة سر

الجمع العام الكبريائي الماثبوت فيه وخلافته فعظم حجاب به وسجد له العالم أجمع من أجل ذلك السر فالقوى من التمكين هو الذي يخرق حجاب سر الجمعية العامة الكبريائية بينه وبين ربه حتى يشاهد ألوهية ربه دون ألوهيته فيعرف عبوديته فحينئذ يكون أقوى العالم وأشد لرفعة ذلك الحجاب الأقوى فتكون منزلته أعلى لأن قوته أعظم وهناك يتميز ويتجاري مع العالم في الرفعة والإنحطاط وهناك رأيت مبلغ العالمين العارفين وأما المدرك الذي أومئنا إليه فبعيد أن تسمعه في غير هذه الرسالة على درج هذا التحقيق لكن تجده مبدداً في أشياء كثيرة نوميء إليها ولا نوضح مثل هذا الإيضاح وكما توجه إليك بمشاركتك أطوار العالم أن تقوم بالجامع الكبريائي معهم في عبادتهم كذلك توجه عليك بالسر الماثبوت فيك أن نجريه على ما أجراه الله من نفسه في خلقه فهو اللطيف بعباده فكن كذلك وهو الرحيم الغفور فكن كذلك وبهذا وصف نبيه (ص) فقال : ﴿بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ فسر الألوهية أثمر لك ما أثمر للجبارين المتكبرين قال تعالى : ﴿كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار﴾ فمن أجل سر الألوهية ختم عليه بالشقاء ، فتحقق هذا الفصل وتحفظ منه واعلم أن التوبة والتوكل وما أشبه ذلك قد اختص الله بها هذا العبد الإنساني فإن الملك طاعة بلا معصية والشيطان معصية بلا طاعة فكلاهما فقد حلاوة التوبة ومقامها وسرها ومعرفتها وشرفها ومحبتها فإن الملك لا يعصي فيتوب فينالها والشيطان لا يجنح للطاعة ولا يحدث بها نفسه فيتوب من مخالفته فينالها وقد اختص بها هذا العبد المجتبي ولهذا كانت من كمال آدم (ع) حتى عم جميع المقامات فقال : ﴿عصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدي﴾ كذلك التطهير الذي اقترنت له محبة الله تعالى فإن الملك مطهر لا متطهر والشيطان مدنس لا يتطهر وعلق الله محبته الاختصاصية بالمتطهر فنالها الإنسان فما لنا يا وليي نغفل عن شكر هذه النعم ونحن منها في مزيد فهذه النعم كلها هي التي تعطىها حقيقة الإنسان بما خلق

عليه سواء كان سعيداً أو شقيماً ثم ننتقل إلى نعم الاختصاص بالسعداء التي تميزك عن الأشقياء من جنسك فأولها أن جعلك موحداً ولم يجعلك مشركاً لا ليد تقدمت لك عليه ولكنه أيدك وقواك حتى خرقت حجاب الجمع العام الكبريائي الذي استودعه فيك منه فنفذت من ورائه إلى عبوديتك فعاينت ألوهية الحق المقدسة فوحده ولم تشرك وهؤلاء هم أهل «لا إله إلا الله» المقطوع لهم بسعادتهم المنبئ عليهم في كتابه العزيز : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ وهنا بحور عظام هلك فيها عالم كثير من أهل طريقتنا لعدم التحقق ووقوفهم مع سر الجمعية العامة الكبريائية الذي فيهم فحجبتهم الرئاسة عن استيفاء الخدمة ، فهذا اختصاص إذ قد قسم جنسك إلى موجد وإلى مشرك وجعلك من حزب الموحدين وهنا تفصيل كثير نخاف من طول العجالة في إيراد فتركناه وهذا هو أول قدم في الشريعة فإن الشارع أول ما أتى به «لا إله إلا الله» فلم يجبه إلا من خرق حجاب سر الجمعية الكبريائية منه وبهذا يقع الاشتراك وتباين مراتب أهل «لا إله إلا الله» على حسب رفع حجابهم فمنهم من يقولها ابتداء معه من غير نظر وهو الإمام ومنهم من يقول معه ذلك بعد رؤية برهان فهذا ي جاهل بنفسه فإن «لا إله إلا الله» من مدركات العقل بالنور الإلهي فتوقفه دليل على التقليد وفقد ذلك النور ولكن سعد بإجابته ولو ببرهان قال تعالى : ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتِلْ أُولَئِكَ أَكْثَرُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَاتِلُوا وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَى﴾ فاعبد الله يا وليي واجتهد على شكر نعمة التوحيد الأولية في الشرع لأهل التقليد ثم زادك إلى هذه النعمة نعمة أخرى وهو إيمانك بالرسول (ص) ولم يجعلك مكذباً برسوله كما فعل بغيرك من أبناء جنسك حيث كفر برسوله مثل فرعون وآله بموسى (ع) والنمرود وآله بإبراهيم (ع) وأبي جهل وأصحابه بمحمد (عليه الصلاة والسلام) وعذاب كل فرعون على مقدار نعيم نبيه الذي كفر به وسفله على قدر علو نبيه ، وكذلك العارفون الصالحون مع المنكرين

عليهم من الفقهاء علماء الرسوم ينقص من حظ نعيمهم في الدار الآخرة على قدر مرتبة العارف الذي أنكروا عليه وعليهم نقص نعيم أتباعهم في ذلك المقلدين لهم فينقص للفقهاء صاحب علم الرسم إذا أنكر على الولي العارف ما لا يبلغه علمه من نعيمه في الجنان إذا سعد على قدر مرتبة ذلك الولي في المعرفة بالله وقدر السر الذي أنكر عليه وعلى قدر من اتبعه في إنكاره من المقلدين ومن هذا كان يفرع شيخنا أبو عمران الماتلي وكان من أهل علم الرسوم وعلم هذه الطريقة وهو الذي ذكرناه في جملة أسياننا من أهل الطريق في هذه الرسالة نحا منحاً المحاسبي دخل عليه أبو القاسم بن عفير خطيب إشبيلية فتكلم معه فيما يأتي به أهل هذه الطريقة من المعارف التي تقصر أفهام علماء الرسوم عنها لأنها علوم نبوية وهذه العلوم الخيرية لا يقوم دليل العقل عليها فلم يبق إلا مجرد الإيمان بها لأنها علوم أخبارية تحتل الصدق والكذب وكذلك إذا أتى بها الرسول يتلقوها الفقهاء بالقبول فلو أحالها العقل لردت أبداً في كل حال وما يشعر الفقهاء بهذا القدر فقال أبو القاسم الفقيه لشيخنا أما أنا فأنكرها فقال له الشيخ أبو عمران أما أنا فأؤمن بها كلها وإياك يا أبا القاسم أن يجمع الله علينا فيها حرمانين لا نراها من أنفسنا ولا نصدق بها من غيرنا فيكون العامي أحسن حالاً في ذلك عند الله فتنبه الفقيه أبو القاسم الخطيب وقال نبهتني (رضي الله عنك) ولم أحضر هذا المجلس ولكنه أخبرني به أبو القاسم الفقيه المذكور المنكر ، ومن ذلك الوقت صار يحبني وينظرني بعين التعظيم فقد حباننا الله يا وليي بالإيمان بالنبي (ص) حين خذل غيرنا ففرض علينا شكر الله وعمل زائد بمزيد هذه النعمة ثم نعمة أخرى لما جعلك مؤمناً بنبي جعلك من أمة محمد (ص) ولم يجعلك من أمة غيره من الأنبياء وهنا نعم منها أن الحق هذه الأمة بدرجة الأنبياء في أتباعهم محمد أ (ص) وعيسى (ع) من جملة أمة محمد (ص) وهو رسول الله وروحه وكلمته وقد دخل في عدادنا وهذا مقام والنعمة الأخرى أن

جعلك شهيداً على سائر الأمم وهي مرتبة النبوة فإنهم الشهداء على أممهم قال تعالى : ﴿يَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَى هَؤُلَاءِ﴾ فالأنبياء شهداء على أممهم وقيل فينا ﴿لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ فقد شوركنا معهم في هذه ، فهذه مواطن نحشر فيها غداً مع النبيين وقال تعالى : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ وقال : ﴿جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ فوصفنا بالعدالة ﴿لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ وإن شئت جعلته من الشيء بين الشيئين شهادتك على الناس وشهادة الرسول عليك أنت بينهما ونعمة أخرى لم يعطها أحداً قبلك من الأمم فإنك مؤمن بنبيك آخر الأنبياء وبمن تقدم إلى آدم وغير ذلك من النعم التي يتضمنها هذا المقام ولكل نعمة شكر يخصها وعمل يطابقها فلتجهد في تحصيله أو تحصيل ما أمكن منه ثم بعد هذا أن قسم أمة نبيه بين مبتدع ومحفوظ فحفظك من البدعة وميزك في ديوان السنة فهذا اختصاص ثم أهل السنة قسمهم قسمين عالم وجاهل فجعلك عالماً بما تعبدك به من شريعته ولم يجعلك جاهلاً بذلك فهذه نعمة يجب أيضاً شكرها ثم جعل العالمين على قسمين طائع وعاص فجعلك من الطائعين ولم يجعلك من العصيين فهذه نعمة عظيمة والطاعة على مقاماتها أن عصمك من الشيء تنقيصه وذكره يطول ثم جعل الطائعين على قسمين عارف وعابد فجعلك من العارفين العابدين فهذه نعمة يجب الشكر عليها ثم قسم العارفين وارث وغير وارث وجعلك من الوارثين على حسب مراتبهم فقد غمرت النعم ولا يتسع الليل والنهار لأداء شكر واجبات هذه النعم وإن اشتغلنا بواحدة منها فغايبتنا أن نقطع ضياءنا وظلامنا ببعض ذرة من واحدة منها فعلى هذا يجب علينا الذي يمكننا أن نفعله أن لا يرانا الله وقتاً واحداً بطالين ولا متصرفين في مباح إلا حاضرين بقلوبنا على الدوام مكفوفين الجوانح عن التصرف المحظور علينا مطلقاً باللسنة بالذكر وبإظهار العلم والشكر عليه والاعتراف بالتقصير وتوبيخ النفوس الذي أراده الحق منا

لا تعديلها وتزكيتها ف : ﴿قد أفلح من زكاها﴾ بالأعمال الصالحة
﴿وقد خاب من دساها﴾ مثلي فأدخلها في الصالحين وليست منهم
فهذه يا أخي نصيحتي لي ولك ولما رأيتك مثلي واحببتك في الله
وأعجبني إنصافك وتعشقت معاشرتك وودت اليوم أن أكون معك حيث
كنت تنصحنني وأنصحك وتوبخني وأوبخك ونكون رفيقين محبين حتى
نموت فما أحبني فيك وأشفقني عليك (رضي الله عنك) ولقد تمنيت أن
أكون معك كما حدثنا أبو محمد يحيى بن أبي الحسن (رضي الله عنه)
قال حدثنا أبو الفتح عبد الباقي بن أحمد بن سلمان حدثنا أبو الفضل بن
الحسين بن خيرون حدثنا أبو علي الحسن بن أحمد بن إبراهيم بن
شاذان حدثنا أبو الحسن بن عبد العزيز الخرزى حدثنا أبو حفص
التنسي حدثنا أبو معبد قال سمعت بلال بن سعيد يقول : أخوان في
بني إسرائيل خرجا يتعبدان فلما أرادا الطريق تفرق بينهما قال أحدهما
لصاحبه خذ أنت في هذا الطريق وآخذ أنا في هذا الطريق فإذا كان
آخر السنة فهذا الموعد بيني وبينك فخرجا يتعبدان فلما كان في رأس
السنة اجتمعا في ذلك الموضع فقال أحدهما لصاحبه أي ذنب فيما
عملت أعظم قال بينما أنا أمشي على الطريق إذ بسنبلة أخذتها فألقيتها
في إحدى الأرضين أرض عن يميني وأرض عن شمالي ولا أدري هي
للأرض التي ألقيتها فيها أم للأخرى قال ثم قال المسؤول للسائل أي
ذنب فيما عملت أعظم قال لا أعلم ، إني كنت أقوم إلى الصلاة فأميل
مرة على هذا الرجل ومرة على هذا الرجل فلا أدري أكنت أعدل بينهما
أم لا ، فسمعهما أبوهما من داخل الدار فقال اللهم إن كانا صادقين
فأمتهما فخرج فإذا هما قد ماتا فهكذا يا وليي يكون اجتماع أهل الله
ومخاطباتهم على ذكر المعاييب والإنصاف لا على وجه المدح
والإتصاف هل يذكر في السجن إلا ما يليق به إذا ترحلت ونزلت في
مستقر الرحمة وجنت ثمرة عملك ، هنالك تذكر ما يليق بموطن
الحسنى من محاسنك وأما هنا فلا ، فإنها دار البلاء والاقتراف

والاجتراح والإنسان فيها من نبي وغير نبي مسجون على دمه لا يخرج منها إلا بالقتل ولولا التطويل لتكلمنا على مراتب السجن والمسجون بما تعطيه الحقائق الثابتة والعادية ويكفي هذا القدر فيما بيني وبينك ويعلم الله لولا ودي فيك وحرمتك التي لك في نفسي ما خاطبتك بشيء من هذا كله ولا ذكرت اسمك ولتركتك مهملًا في جملة عباد الله تعالى ، لكن الله قد عرف بيني وبينك روحاً وجسماً ومعنى ورسمًا فلم أتمكن أن أخاطبك إلا بما يقتضيه الود الصريح والدين الخالص الصحيح وأما فضلك وتقدمك في طريقك عندي فمشهور و﴿فوق كل ذي علم عليم﴾ و﴿يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾ وقل اليوم من يصحبك الله فأكثر الصحبة معلولة في زمانك من أجل هذه الأغراض واستحكام سلطان الأغراض وعبد الله قليل ، ولنا في معنى هذا أبيات ، وهي :

ووجدنا مثل الرداء المعلم	انظر إلى هذا الوجود المحكم
من مفصح طلق اللسان وأعجم	وانظر إلى خلفائه في ملكهم
إلا ويمزجه بحب الدرهم	ما منهم أحد يحب إلهه
وذا عبد الجنان وذا عبيد جهنم	فيقال هذا عبد معرفة
سكرى به من غير جنس توهم	إلا القليل من القليل فإنهم
أحد سواه لا عبيد المنعم	فهم عبيد الله لا يدري بهم

إلى آخر القصيدة فاجهد نفسك يا ولي في أن تتحلي بحلية قوم بكى رسول الله (ص) شوقاً إليهم لا يؤثر فيهم كلام المغرورين من الفقهاء علماء السوء الذين لبسوا رفاق الثياب وتناولوا لذيذ المطاعم ، فإذا قلت لهم في ذلك تلوا عليك ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق﴾ فقد أخبر النبي (ص) أنهم سيقولون هذا قلت لهم في ذلك على ما كتب فيه إلينا شيخنا أبو محمد بن محمد بن سعيد الله بن محمد البجلي البغدادي الحنفي (رضي الله عنه) من حديث سعيد بن زيد بن نفيل قال سمعت النبي (ص) وأقبل على أسامة بن زيد

فقال : « يا أسامة عليك بطريق الجنة وإياك أن تختلج دونها فقال يا رسول الله وما شيء أسرع ما يقطع به ذلك الطريق قال الظمأ في الهواجر وكسر النفس عن لذة الدنيا ، يا أسامة وعليك عند ذلك بالصوم فإنه يقرب إلى الله عز وجل إنه ليس من شيء أحب إلى الله عز وجل من ربح فم الصائم وترك الطعام والشراب لله عز وجل وإن استطعت أن يأتيك الموت وبطنك جائع وكبدك ظمآن فافعل فإنك تدرك شرف المنازل في الآخرة وتحل مع النبيين (صلوات الله عليهم أجمعين) تفرح بقدم روحك عليهم ويصلي عليك الجبار تبارك وتعالى وإياك يا أسامة وكل كبد جائع يخاصمك إلى الله عز وجل يوم القيامة وإياك يا أسامة ودعاء عباد قد أذابوا اللحوم وأحرقوا الجلود بالريح والسمائم وأظمئوا الأكباد حتى غشيت أبصارهم فإن الله عز وجل قد نظر إليهم وباهى بهم الملائكة (ع) بهم تصرف الزلازل والفتن» ثم بكى النبي (ص) حتى اشتد نحيبه وهاب الناس أن يكلموه حتى ظنوا أن أمراً قد حدث بهم من السماء ثم تكلم فقال : «ويح لهذه الأمة ما يلقي منهم من أطاع الله ربه عز وجل فيهم كيف يقتلونه ويكذبونه من أجل أنهم أطاعوا الله تعالى» فقال عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) : «يا رسول الله والناس يومئذ على الإسلام قال نعم قال فقيم إذن يقتلون من أطاع الله وأمرهم بطاعة الله فقال يا عمر ترك الناس الطريق وركبوا الدواب ولبسوا لين الثياب وخدمتهم أبناء فارس يتزين الرجل منهم تزين المرأة لزوجها ويتبرج النساء زيهن زي الملوك الجبابرة ودينهم دين كسرى وهرمز يتسمنون بالجشاء فإذا تكلم أولياء الله عز وجل عليهم العباء منحنية أصلابهم قد ذبحوا أنفسهم من العطش فإذا تكلم منهم متكلم كذب وقيل له أنت قرين الشيطان ورأس الضلالة تحرم زينة الله والطيبات من الرزق ويتلون كتاب الله عز وجل على غير علم استدلوا أولياء الله عز وجل أعلم يا أسامة أن أقرب الناس إلى الله عز وجل يوم القيامة من أطال حزنه وعطشه وجوعه في الدنيا الأخفيا الأبرار الذين إذا شهدوا

لم يقربوا وإذا غابوا لم يفتقدوا تعرفهم بقاع الأرض يعرفون في أهل السماء ويخفون عن أهل الأرض وتحف بهم الملائكة تنعم الناس بالشهوات وتنعموا هم بالجوع والعطش لبس الناس لين الثياب ولبسوا هم خشن الثياب وافترش الناس الفراش وافترشوا الجباه والركب ضحك الناس وبكوا يا أسامة لا يجمع الله عز وجل عليهم الشدة في الدنيا والآخرة لهم الجنة فياليتني قد رأيتهم يا أسامة لهم الشرف في الآخرة ويا ليتني قد رأيتهم الأرض بهم رحبة والجار عنهم راض ضيع الناس فعل النبيين وأخلاقهم وحفظوا ، الراغب من رغب إلى الله مثل رغبتهم والخاسر من خالفهم تبكي الأرض إذا فقدتهم ويسخط الله على كل بلدة ليس فيها مثلهم يا أسامة إذا رأيتهم في قرية فاعلم أنهم أمان لأهل تلك القرية لا يعذب الله عز وجل قوما هم فيهم اتخذهم لنفسك عسى أن تنجو بهم وإياك أن تدع ما هم عليه فتزل قدمك فتهدى في النار طلبوا الفضل في الآخرة تركوا الطعام والشراب على قدره لم يتكابوا على الدنيا إنكباب الكلاب على الجيفة شغل الناس بالدنيا وشغلوا أنفسهم بطاعة الله عز وجل ولبسوا الخلق وأكلوا الفلق تراههم شعثاً غبراً يظن الناس أن بهم داء وما ذاك بهم ويظن الناس أنهم خولطوا وما خولطوا ولكن خالط القوم حزن وتظن أنهم ذهبت عقولهم وما ذهبت عقولهم ولكن نظروا بقلوبهم إلى أمر ذهب بعقولهم عن الدنيا فهم عند أهل الدنيا يمشون بلا عقول ، يا أسامة عقلوا حين ذهبت عقول الناس لهم الشرف في الآخرة فانظر يا ولي حب حبيب الله ورسوله لأولياء الله وكيف نعتهم فعلى هذا الوصف ينبغي أن نعتكف وبه نتصف حتى ننقلب إلى الله ونحن بهذا النعت منعوتون وبهذه الحيلة متحلون فاجتهد يا أخي في ذلك ولا تتأخر عنهم ومدني بالدعاء والهمة فإن المطلوب اليوم معدوم جداً ولما رأيت القرين الصالح معدوماً والطبيب المشفق الناصح غير موجود تأسفت لذلك وحظ كل إنسان السرور بما هو فيه ، لا يتنبه لعب أخيه فينبه ذلك

لعيبه فيتصاحبا بالنصيحة وتحصل لهما المرتبة الصحيحة فعملنا في
عدم القرين الناصح وفتنة الإنسان بحاله أبياتاً ، وهي :

لما غدا من جوار الله يطردني
به المهيم يوم الحشر يطلبني
يا ليت عيني لم تنظر إلى حسن
ولا لساني ، وليت القلب لم يكن
توفيق ربي في سر وفي علن
يوم النشور إذ الرحمن يسألني
ولا حننت إلى ربع ولا سكن
على الأراك تغني وهي تندبني
على الشرب من عهد ابن ذي يزن
ولا قطعت بأسباب الردى زمي
حتى دعيت له العالم الفطن
وحرقة الذنب في الأحشاء تحرقني
وأنت سبحانك اللهم تحفظني
إلى الشقاء ومن سعد يبعدني
عن العباد وعين الله تنظرني
من نسومة لعذاب الله تحملني
فحل مني محل الروح من بدني
ولا أزال^(١) إذا أسهو يذكروني
فلا يزال مع الأحياء ينصحني
في الثوب من دنس الأقدار والدرن
من عن يميني وينهاني ويزجرني
كم مرة جئت والبواب يمنعني

ذكرت ذنبي فأبكاني وحيرني
كيف الخلاص وما ضيعت من عمري
يا ليت أذني لم تسمع حديث هوى
يا ليت كفي لم تخلق ولا قدمي
أو ليت إذ كان خلقي كان يسعدني
ولا أهيم بشخص ليس ينفعني
ولا ندبت دياراً كنت آلفها
ولا تغزلت في ورقاء صادحة
ولا شربت حمياً ضن حابسها بها
ولا تمنيت شيئاً لست مدركه
ولا تكلمت في علم ومعرفة
وظل إبليس الملعون يلعب بي
كم ذا أقيم على الإتيان مكتماً
أمسي وأصبح في شيء يقربني
كم ذا أبارزه بالذنب مستتراً
ولا حياء من الرحمن يوقظني
سوى خليل رأني في تعريفة
فلا أزال إذا يلهو أبصره
فليس خلي إلا من يرى زلي
فالصاحب الحق كالصابون يذهب ما
لما سمعت رقيبى وهو يطعنني
يا سيدي ورعاك الله تسمعني

(١) في الهامش : يزال .

وليس شخصاً فتؤذيه وتضربه
فانظر إليه وحسن خلق صورته
وهو الذي يدفع الخصمين عنك إذا
فعندما سمعت نفسي مواعظه
فقلت يا نفس مهما كنت ساعية

فيا ولي أبقاك الله تعالى

لقد كنت أخشي أن تقول بحرقة
أنوح على نفسي وأبكي لغفلتي^(١)
إذا كان قربي من إلهي مقارناً
فإن هو جازاني على فعلتي فما
ولكنني أرجوه سرّاً وجهرة
وإن كنت بدرّاً أذهب الجهل نوره
ولم يقضني ذنبي ولا سوء فعلتي
كما الجود والصفح الجميل مع الرضي
وقد ثبت المجد الكريم لخالقي

لكنه فعلك المرفوع في الكفن
فهو الأنيس إذا استوحشت في الحبن
ما افتناك وذا من أعظم الحزن
حنت وقالت ترى الرحمن يقبلني
إليه هرولي بالآلاء والمنن

مقالة عبد خالف الحق في القصد
وأندب قلباً حاد عن سنن الرشد
لقرب، فؤادي من إلهي فيا بعدي
جزائي، سوى الإقصاء بالعنف والطرده
فإن كان هذا الوجد يجدي فيا جدي
فما قريب ينعم الله بالرد
فإتيان سوء الذنب أليق بالعبد
لأليق شيء في الوجود بذني المجد
وقد ثبت الإيمان عندي فيا سعدي

فهذا يا ولي ما أمر الله وليك وصفيك أن يخاطبك به ﴿والله لا
يستحي من الحق﴾ وحق الله أحق . واعلم أن هذه الرسالة من أعظم
من الله عليك ومن أسنى تحفة إليك والسلام الطيب المبارك على
النبي ورحمة الله وبركاته والسلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
وعليك رحمة الله وبركاته والسلام علينا وكذلك يخصصكم بالسلام الأتم
عبد الله بدر الحبشي وجميع إخواننا وسلامي يتردد على أبنائك
وأصحابك وأوليائك الشيخ المبارك السعيد بخدمتك أبو عبد الله بن
المرباط والشيخ الموفق أبو عتيق والجار الصالح الحاج معافا وأبو
محمد الحافظ والذكي المجتهد أبو القاسم القابسي والفقيه الصادق

(١) في الهامش : لعله لغفلتي .

عبد الجبار والخديم المبارك الناصح عبد العزيز البابلي وولي وصفي
الذي آخيت بيني وبينه أبو عبد الله القطان ولو نعت إليكم محمداً
التائب (رحمه الله تعالى) مات بين مكة والمدينة على مرحلة من مكة بين
مرو وعسفان زائراً نبي الله (ص) شهيداً بين الحرمين يحشر يوم القيامة
آمناً . وكتب إليكم وليكم بهذه الرسالة من مكة (حرسها الله وشرفها) في
شهر ربيع الأول سنة ستمائة وطاف بها أسبوعاً وأمسها الحجر الأسود
والملتزم والمستجار وأدخلها البيت والمواضع الفاضلة تيمناً وتبركاً
والحمد لله رب العالمين وصلى الله على خاتم النبيين والمرسلين
وعلى آله الطاهرين وصحابته أجمعين وجميع عباد الله الصالحين
وسلم تسليماً .